المقتطف

الجزء الاول من المجلد السادس والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٠ — الموافق ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٧

مذنب هلي في التاريخ

لذوات الاذناب شأن كبير في التاريخ كان الناس يتشاءمون كلما ظهر نجم منها ويتوقعون حدوث الحروب والاوبئة والارزاء المختلفة . ولا تخلو سنة من الرزايا كما لا يخفى فاذا ظهر مذنب في سنة من السنين نسبوا رزاياها اليه ولا يزال بعض الناس يعتقدون ذلك الى الآن مع انهُ لا دليل ولا شبه دليل على ان للاجرام السماوية يداً في حدوث شيء من ذلك . واننا مورودون هنا بعض الحوادث التاريخية التي حدثت في الاوقات التي ظهر فيها مذنب هلي على سبيل الفكاهة وقد لا يخلو ذلك من بعض الفوائد التاريخية ايضاً . فهذا النجم الذي سناؤهُ بعد بضعة اشهر رآهُ كثيرون من العظماء الذين ذكرهم التاريخ مثل تيطس وليوسيفوس ومار يوس وسيلا واتيلا وعبد الملك بن مروان والحجاج وابو تمام والسلطان عثمان الاول والسلطان سليمان القانوني وغيرهم كما سترى

سنة ٤٦٧ قبل المسيح . — ذكر الصينيون في تواريخهم ظهور مذنب في السنة الثانية لجلوس الامبراطور تنج وانج وهي موافقة للسنة ٤٦٧ ق . م . وهو مذنب هلي كما يتضح من حساب مدة دورانهِ حول الشمس

سنة ٢٤٠ — ذكر الصينيون ظهور مذنب في السنة السابعة لشي هوانج قالوا انهُ ظهر في الشرق ثم اتجه الى الشمال واختفى ثم ظهر بعد ذلك من جانب الغرب . وكانت الحرب قائمة في تلك السنة بين رومية وقرطاجنة ودامت هذه الحرب ٢٣ سنة

سنة ١٦٣ ق . م . — لم يذكر التاريخ ظهور مذنب في هذه السنة لكنهُ جاء ان مذنباً ظهر في سنة ١٦٥ ويحتمل انهُ مذنب هلي . وكانت الحرب مستعرة في تلك الايام بين اليهود وانطيوخس ايفانس ملك سورية لانهُ نحر خنزيراً على مذبح هيكلهم فهاجوا لذلك

وخرجوا عليهِ بقيادة متياس وابنائهِ ودامت الحرب سنوات عديدة

سنة ٨٧ ق . م . — ذكر الصينيون ظهور هذا المذنب في الشهر السابع (اغسطس) من جانب الشرق . وفي تلك السنة كانت فتنة في رومية بين ماريوس وسيلا انتصر فيها ماريوس واستتب لهُ الامر في المدينة . وفي اواخر هذه السنة اغار سيلا على اثينا وافتتحها في اول مارس سنة ٨٦ ق . م .

سنة ١١ — ١٢ ق . م . — ذكر ذيون كاسيوس في تاريخ رومية انهُ قبل وفاة اغريبا القائد الروماني ظهر مذنب في السماء كأنهُ معلق فوق المدينة . وذكرهُ الصينيون ايضاً وقالوا انهُ ظهر في برج الاسد وانتقل الى السلوقيين فالجاثي فالعوّاء فالعقرب وغاب عن الابصار بعد ظهورهِ بستة وخمسين يوماً

سنة ٦٦ مسيحية . — ظهر مذنبان في اواخر سنة ٦٥ واوائل سنة ٦٦ ولا يعلم بالتحقيق ايهما مذنب هلي وقد ذكرهما الصينيون فقالوا ان احدهما ظهر في برج الاسد وبقي ٥٦ يوماً والآخر في برجي الرامي والعقرب وبقي ٥٠ يوماً . وذكر يوسيفوس احد هذين المذنبين قال « وانتصب كوكب كالسيف فوق القدس وظهر مذنب بقي نحو سنة » . وكان ذلك قبل خروج اليهود على الدولة الرومانية فهالهم هذا المنظر جداً وحدثت امور اخرى ارتاع لها الناس . قيل ان باب الهيكل انفتح من نفسهِ وكان مقفلاً وسمع الكهنة صوتاً خارجاً من الهيكل يقول « انّا راحلون من هنا » . وظهر رجل اسمهُ يسوع بن انانس تيأً بسقوط اورشليم فلطخ يصرخ في الهيكل ويقول « هوذا صوت من الشرق وصوت من الغرب وصوت من الرياح الاربع وصوت على اورشليم وعلى الهيكل وصوت على العرائس وصوت على الشعب اجمع » . وبقي ينادي بذلك بضع سنوات الى ان كان حصار المدينة فحدث انهُ كان واقفاً على السور فلطخ يصرخ الويل لاورشليم الويل لي انا فاصابهُ حجر اماتهُ لساعتهِ

ولقد حدثت هذه الامور في زمن نيرون الطاغية وقبل ان يطرس الرسول استشهد في رومية بعد ظهور هذا المذنب بسنة . ولعل يهوذا اشار في رسالتهِ الى هذا النجم بقولهِ « نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام الى الابد »

سنة ١٤١ . — ورد في التواريخ الصينية ذكر مذنب ظهر في هذه السنة ووصفهُ فيها ينطبق على مذنب هلي

سنة ٢١٨ . — ظهر هذا المذنب وذكرهُ الصينيون ووصفهُ ذيون كاسيوس المؤرخ اليوناني قال « انهُ كوكب هائل له ذنب ممتد من الغرب الى الشرق » . وكان ظهورهُ في

كوكبة سائق العزم ثم انتقل الى الجوزاء فالاسد فالسنبلة ثم غاب عن الابصار

سنة ٢٩٥ م — ظهر المذنب في الشهر الرابع (ابريل) ومر في المرأة المسلسلة والسنبلة

سنة ٣٧٣ م — ذكر الصينيون مذنباً ظهر في العواء

سنة ٤٥١ م — ذكره الافرنج والصينيون ورآه هؤلاء في السابع عشر من شهر مايو وتتبعوا سيره في برج الثور والاسد والسنبلة الى منتصف يوليو

وكانت اوربا مضطربة جداً في تلك السنة وقد اغار عليها اتيلا كانه بلاء صبه الله على اهل رومية وفيها حدثت موقعة شالون المشهورة فقتل فيها خلق كثير من الفريقين

سنة ٥٣٠ — لعله المذنب الذي ذكره ابن العبري زمن يوستينوس الاول او خلفه

سنة ٦٠٧ م — وكان ذلك قبل الهجرة بخمس عشرة سنة وفيها غزا الفرس بلاد الروم

سنة ٦٨٤ (٦٥ للهجرة) م — توفي فيها مروان بن الحكم قتلته امرأته ام خالد وبويع ابنه عبد الملك بن مروان وظهر الحجاج بن يوسف الثقفي بعد ذلك بقليل

سنة ٧٦٠ (١٤٣ هـ) م — وكان ذلك في زمن الخليفة ابي جعفر المنصور العباسي

سنة ٨٣٧ (٢٢٢ هـ) م — ذكره مؤرخو الصين والافرنج والعرب كما ابنا في الجزء الماضي

سنة ٩١٢ (٢٩٩ هـ) م — خرج في تلك السنة اهل طرابلس الغرب على المهدي عبيد الله العلوي فسير اليها ابنه ابا القاسم في جمادى الآخرة سنة ٣٠٠ فحاصرها وصابرها فسدمت الاقوات في البلد حتى اكل اهله الميتة ففتح البلاد عنقاً - وفيها كانت زلازل بالقيروان وفي السنة التالية كانت فتنة في صقلية فخرجت على المهدي وخطب فيها للمقتدر . وكثرت العلل ببغداد وكلبت الكلاب والذئاب في البادية فاهلكت خلقاً كثيراً

سنة ١٠٦٦ (٤٥٨ هـ) م ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٤٥٨ كما ابنا في الجزء الماضي من المقتطف واتفق ظهوره لما فتح وليم الظافر انكلترا

سنة ١١٤٥ (٥٣٩ هـ) م — قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٣٩ « وفيها خرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل افريقية والغرب ففتحوا مدينة برصة وقتلوا اهلها وسبوا حريمهم وباعوه بصقلية . وفيها توفي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب المغرب . وفيها في شوال (ابريل ١١٤٥) ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب المشرق وبقي الى نصف ذي القعدة (١٠ مايو) ثم غاب ثم طلع من جانب الغرب فقيل هو هو وقيل بل غيره » . وكانت الحروب متواصلة تلك السنة بين الافرنج والعرب في الشام والاندلس وصقلية وافريقية

سنة ١٢٢٢ (٦١٩ هـ) م — ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٦١٩ قال « في هذه

السنة في العشرين من شعبان (٣٠ سبتمبر) ظهر كوكب في السماء في الشرق كبير لهُ ذوّابة طويلة غليظة وكان طلوعهُ وقت السحر فبقي كذلك عشرة ايام ثم انهُ ظهر اول الليل في الغرب مما يلي الشمال فكان كل ليلة يتقدم الى جهة الجنوب نحو عشرة اذرع في رأي العين فلم يزل يقرب من الجنوب حتى صار غربيًا محضًا ثم صار غربيًا مائلاً الى الجنوب بعد ان كان غربيًا مما يلي الشمال فبقي كذلك الى آخر شهر رمضان (٢ نوفمبر) ثم غاب » . وكان في تلك السنة حربٌ بين السلطين والتتر والسلطين والكرج

سنة ١٤٥٦ (٨٦٠ هـ) . — كان الاضطراب سائداً على اوربا واستولى الاتراك على القسطنطينية قبل ذلك بثلاث سنوات واغاروا على اوربا وامتلكوا جزءاً كبيراً منها وحاصروا بلغراد سنة ١٨٥٦ وكادوا يتملكونها وحدث وباء في جيش الافرنج مات بهِ خلق كثير . وفي تلك السنة زحف عمر باشا على اثينا وامتلكها . فكان هذا المذنب شؤمًا على الروم في اكثر ادوار ظهوره

وقد ذكر ابن اياس ظهور هذا المذنب في حوادث سنة ٨٦٠ كما اتينا في الجزء الماضي

سنة ١٥٣١ (٩٣٨ هـ) . — ظهر هذا المذنب في ايام السلطان سليمان القانوني والحرب قائمة بينهُ وبين الفرس والنمسا والنصر حليفهُ في اكثر المواقع

سنة ١٦٠٧ (١١١٦ هـ) . — تغلبت هولاندا في تلك السنة على اسبانيا ونالت استقلالها

سنة ١٦٨٢ (١٠٩٣ هـ) . — ظهر المذنب هذه المرة في زمن هلي كما تقدم وفي تلك الايام كان محمد الرابع سلطانًا على تركيا والحرب قائمة بينهُ وبين النمسا

١٧٥٩ (١١٧٣ هـ) . — ظهر والحرب قائمة بين انكلترا وفرنسا والنصر حليف انكلترا في اكثر المواقع

١٨٣٥ (١٢٥١) . — ظهر والجنود المصرية في الشام بقيادة ابرهيم باشا . وكانت الاوبئة منتشرة في كثير من البلدان ومن الغريب ان الامير حيدر لم يذكرهُ في تاريخهِ مع انهُ ذكر حوادث كثيرة لا يعبأ بها

هذا بعض ما امكن جمعهُ من تاريخ هذا المذنب . ونكرر ما قلناهُ سابقًا انهُ ليس للنجوم اقل علاقة بامور الناس وان ما يحدث في السنين التي تظهر فيها المذنبات الظاهرة للعيان يحدث مثلهُ في السنين التي لا تظهر فيها على السواء وقد ظهرت مذنبات أخرى في زماننا ولم يظهر لها اقل علاقة بامور الناس . اما المذنبات التي لا ترى بالعين بل بالتلسكوب او تظهر في الصور الفوتوغرافية فلا تمرُّ سنة الاَّ ويظهر بضعة منها

العلم في العام الماضي

مجمع تقدم العلوم البريطاني

التأم هذا المجمع في مدينة وينبغ بكندا وحضره كثيرون من اعضاء مجمع تقدم العلوم الاميركي وخطب فيه الاستاذ جوزف طمسن خطبة الرئاسة في الطبيعيات وارتأينا وقد لخصنا خطبته في الجزئين الاخيرين من المقتطف ومفادها ان المادة مؤلفة من وحدات كهربائية سلبية وايجابية فهي نوع من الحركة

وخطب رئيس قسم العلوم الرياضية والطبيعية الاستاذ رذرفرد ذاكراً الاساليب المختلفة التي استعملت لقياس حجم الجوهر الفرد وسرعة حركته ومقدار الوحدات الكهربائية التي يتألف منها وسنلخص خطبته في الجزء التالي

وخطب رئيس قسم الكيمياء الاستاذ ارمسترنج ذاكراً المسائل التي تشغل الكيماويين الآن ولاسيما ما يتعلق منها بما يعتقده الطبيعيون عن الجوهر الفرد ونسبة العناصر بعضها الى بعض في التراكيب الكيماوية واستحضار المركبات بالصناعة

وخطب رئيس قسم الجيولوجيا الدكتور ودورد في التحجرات او الاحافير ونسبتها الى تولد الانواع بعضها من بعض وبيّن ما يظهر في الانواع من دلائل الانحطاط او الشيخوخة كفقد الاسنان وتولد العظام الزائدة

وخطب رئيس قسم علم الحيوان المستر شبلي فذكر انقراض بعض انواع الحيوانات وحث علماء الحيوان من كل البلدان لكي يتعاضدوا على تنظيم وتنسيقه

وخطب رئيس علم الجغرافيا السر دنكن جنستن فذكر خلاصة الاكتشافات الجغرافية في العام الماضي والطرق الحديثة لرسم الخرائط

وخطب الاستاذ تشبمن رئيس علم الاقتصاد والاحصاء فبيّن ان تقليل ساعات العمل يزيد العمل مقداراً واتقاناً

وخطب السر وليم هويت رئيس قسم الهندسة فذكر الفوائد الجمة التي استفادتها كندا من الاعمال الهندسية في السكك الحديدية والملاحة الداخلية واستخدام القوة المائية وبناء السفن

وخطب الاستاذ جون ميرس رئيس قسم الانثروبولوجيا اي علم الانسان فذكر تاريخ هذا العلم وطلب انشاء ادارة في كندا تبحث في احوال سكانها انثولوجياً اي من حيث اجناسهم

وخطب رئيس قسم التعليم التسن غراي فانتقد الجامعات النقدية في البلاد الانكليزية واشار الى الضرر من التعليم المجاني فيها الذي يناله بعض التلامذة بجدهم وكان السر جوزف طمسن رئيس المجمع قد طرق هذا الموضوع قبله

وخطب الاستاذ ستارلنج رئيس قسم الفسيولوجيا في كيفية نشوء الاعصاب في الحيوان

وخطب الكولونل براين رئيس قسم النبات والماجور كراجي رئيس فرع الزراعة فاشار الاول الى المسائل الهامة في علم النبات والثاني الى ان التقدير الذي قدره السر وليم كروكس للزمن الذي يقل فيه القمح عن المقطوعية يجب اطالته لانه قد اتسع نطاق الاراضي الصالحة لزرع القمح

الانثروبولوجيا او علم الانسان

كشفت عظام فك انسان يظن انها من اقدم ما وجد من نوعها وان صاحبها اوطأ في سلم البشرية من اهالي استراليا الاصليين. وكشفت عظام انسان آخر تحت طبقات كثيرة من الارض يقدر لسوبها اربع مئة الف سنة وليس في العلم الطبيعي ما يدل دلالة قاطعة على ان الانسان احدث من ذلك. وما دام العلماء قد اثبتوا ان زمن الانسان اقدم من مئة آلاف سنة او ثمانية آلاف سنة فلا فرق بين ان يبلغ قدمه ثمانية آلاف سنة او ثمانين الف سنة او ثمانمئة الف سنة لان التقيد بنص التوراة او بما يستنتج منها قد زال فصار للعلم ان يحكم في الزمن الذي وجد فيه الانسان على وجه هذه البسيطة. غير ان تقدير العلماء لعمر الطبقات المشار اليها آنفاً باربع مئة الف سنة لا يؤخذ قضية مسلمة بل هو مجرد تقدير وقد يخطئ كثيراً بزيادة او بنقصان. ووجود عظام الانسان تحت تلك الطبقات ليس دليلاً قاطعاً على ان الانسان اقدم منها لان العظام قد توضع تحتها وضعاً. ولكن الادلة على قدم الانسان كثيرة جداً وقد ذكرناها مراراً فليطالعها الذين يحاولون تغطية السموات بالقبوات

ولما فتح المعرض العام في مدينة لندن أقيمت فيه دار لقياس اجسام الزوار مثل ثقلهم وطولهم وعرض اكتافهم ومحيط رؤوسهم ولقياس قواهم العقلية ايضاً. ويراد مقابلة هذه القياسات باعمال اولئك الزوار ليرى ما بينها من النسبة

البيولوجيا او علم الاحياء

احتفل في جامعة كيمبردج بمرور مئة سنة على ولادة داروين وخمسين سنة على نشر كتابه اصل الانواع وحضر الاحتفال مئتا عالم بالنيابة عن المدارس والمجامع العلمية في كل البلدان المتمدنة ونشر كتاب عن داروين فيه مقالات من الاساتذة وسمن وهيكل ودثريس

وهم اشهر علماء البيولوجيا الآن . وانشئت جمعية لعلم الحشرات في بلاد الانكليز من علماء الحشرات وعلماء الحيوان وعلماء الميكروبات وعلماء الميكروسكوب للبحث عن الحشرات التي تضرُّ بالزراعة او بالصحة . واقام الدكتور شفورد والدكتور مري الادلة على ان السرطان من امراض الشيخوخة في كل الحيوانات ذات الفقار والانسان في جملتها وكأنهُ وظيفة من وظائف الشيخوخة والاضمحلال

الجغرافيا

تمتاز السنة الماضية بالوصول الى القطب الشمالي والى قرب القطب الجنوبي وقد فصلنا ذلك بالاسهاب في الاجزاء الماضية لكن الانكليز لم يكتفوا بوصول السر ارنست شكلتن الى قرب القطب الجنوبي بل عزموا على بلوغهِ تماماً فقام الكبتن سكوت الذي ذهب نحو القطب منذ سنين قليلة واستجد اهل الحمية لجمع المال اللازم لبلوغ هذا الغرض ويقدَّر انهُ يلزم لذلك اربعون الف جنيه والمرجح انهُ يقلع نحو القطب الجنوبي في اغسطس المقبل . وتألفت بعثات عملية كثيرة للذهاب الى بلاد القطبين ودرس طبائع الارض واخلاق السكان وما اشبه

ووصف الدكتور لونجستاف انهر الجليد في مضيق سلدورد في جبال سملايا حيث الارتفاع عن سطح البحر ١٨٧٠٠ قدم وصعَّد دوق ابروزي في تلك الجبال حتى بلغ ما ارتفاعهُ ٢٤٦٠٠ قدم فوق سطح البحر . وقصد احد السياح اختراق بلاد العرب من الشمال الى النفود فلم يصل الى ابعد من تيماء وقصد غيرهُ اختراقها من الجنوب فاستلَّهُ الشيخ الذي كان دليلاً لهُ . وصعد الملازم بويد الكندر الى قمة جبل كيرون في افريقية فوجد فيها كثيراً من انواع البراكين وقبل ان غادر ذلك الجبل حدثت هناك زلزلة عنيفة وهاج البركان هياجاً شديداً وجرت الحمم منهُ

البيولوجيا

بحث كثيرون في زلزلة مسينا التي حدثت في آخر سنة ١٩٠٨ وصفاتها الجيولوجية فرأوا انها كانت مصحوبة بانخساف كبير في الارض في مضيق مسينا غيَّر قاع البحر هناك . ونشر اول تقرير رسمي عن زلزلة كليفورنيا التي حدثت في ١٨ ابريل سنة ١٩٠٦ وفيهِ ان الصخور انقدَّت على مساحة واسعة وهبط جانب منها عشر اقدام وبلغ المبوط في بعض الاماكن ٢١ قدماً . لكن المستر اولدهام الجيولوجي اقام الادلة على ان انقداد الصخور لا يكفي لاحداث زلزلة كبيرة يشعر بها في كل المسكونة وعندهُ ان سبب الزلازل الكبيرة هو في باطن الارض . وتوسع الاستاذ جولي في خطبتهِ التي خطبها في مجمع ترقية العلوم البريطاني الماضي

وجعلها كتابًا بيَّن فيه ان حرارة جوف الارض حاصلة من اشعاع الاورانيوم ونحوهِ من العناصر المشعَّة للحرارة . وخطب الاستاذ سولاس رئيس الجمعية الجيولوجية سنة شهر فبراير الماضي فبيَّن ان عمر الاوقيانوس لا يقل عن ٨٠ مليون سنة ولا يزيد عن ١٥٠ مليون سنة وعمر الصخور المتضدة نحو ٨٠ مليون سنة

الطب والجراحة

انشئ معهد الراديوم بعناية ملك الانكليز وكرم السر ارنست كاسل ولورد ايشه للبحث في فائدة الراديوم العلاجية لان ثمنهُ غالٍ جدًّا فلا يستطيع الاطباء امتحانهُ الاَّ في معهد مثل هذا حيث يستعمل مقدار كافٍ منهُ . والراديوم اما انهُ يفعل ككاوٍ شديد الفعل فقط واما انهُ مادة دوائية فتشفي بفعلها الدوائي وسيقوم هذا المعهد بتحقيق ذلك . وقد خطب السر فردرك تريفس في الراديوم في ٢٦ يناير الماضي فقال انهُ يزيل كل انواع الوحمات ويشفي من الحكاك وقد شفى الآكلة التي لم تشفها اشعة رنتجن . وطُعِّمت قارة بالسرطان ثم حُقِنَت بمذوَّب الراديوم فزال السرطان منها . وان طبيبًا حقن سرطانًا بمادة مشعة فزال السرطان سريعًا . واثبت اثنان من الاطباء ان امراض العين عولجت بالراديوم فظهر منهُ فائدة فيها وكان اكثرها نتروح القرنية

وقررت اللجنة الملكية للبحث في السرطان ان التجارب التي جُرِّبت في المعالجة بالتربنتين لم تأتِ بنتيجة . وانهُ لم يقم دليل حتى الآن على ان السرطان ينتقل بالوراثة

واجتمع مؤتمر الجذام في شهر اغسطس الماضي وقرر ان الجذام مرض معدٍ ويحق لكل بلاد ان تتخذ الوسائل اللازمة لمنع وصول الجذام اليها من غيرها . وان فصل المجذومين يمنع انتشار العدوى منهم وانهُ من الامراض القابلة الشفاء ولم يعلم الدواء الذي يشفي منهُ حتى الآن ولذلك يحسن الاستمرار على البحث عنهُ . ولا يظهر ان الجذام ينتج من اكل نوع مخصوص من الطعام ولا دليل على انهُ وراثي واذا أُصيب كثيرون في عائلة واحدة فسبب ذلك العدوى لا الوراثة

وثبت فائدة صبغة اليود لمضادَّة الفساد في العمليات الجراحية اذا دهن بها الجلد الذي يراد جرحهُ . وثبت ان للحامض النيتريك فائدة في سرعة الهضم الاختياري في داء النقرس . ووجد مولي ان اليود يزيل الم لسع الزنابير والنحل والبعوض وذلك بزجهِ بصابون البترولاتوم ودهن مكان اللسعة بنقط قليلة منهُ . وثبت ان صبغات الشعر المحنوية على الانيلين لا تخلو من المواد السامة وقد يكون تأثيرها شديدًا جدًّا حتى تفضي الى الآفات العصبية والموت

الداء الاسود

جاء في بعض الصحف العربية شيء عن الداء الاسود وانتشاره في السودان فرأيت ان اكتب فيه مقالة موجزة عسى يكون بها بعض الفائدة لقراء العربية فالداء حديث العهد في تلك البلاد واكثر القراء لا يعرفون عنهُ شيئاً

اسمهُ وتاريخهُ . نشأ هذا الداء في بلاد الهند ويسمونهُ هناك كلا آزار اي الداء الاسود من كلا بالهندية ومعناها اسود وآزار بالفارسية ومعناها داء سمي بذلك لشدة فتكهِ ولم أرَ اصلح من تسميتهِ بالداء الاسود بالعربية

والذي يعرف من امرهِ انهُ ظهر في بنغال في الهند وتفشّى في ولاية رنجابور سنة ١٨٨٧ ثم عبر نهر براهما (براهما پوترا) الى بلاد اسام حيث انتشر انتشاراً هائلاً وفتك باهلها فتكاً ذريعاً فترك بعض القرى قاعاً صفصفاً واثّر في عمران البلاد تأثيراً يذكر

ولم يكن يعلم بوجودهِ في افريقية لكنهُ اشتبه بهِ منذ بضع سنوات واذكر ان القائمقام دانسي برونيج بك نبّهني اليهِ في الخرطوم حينما كان رئيساً لاطباء المستشفى العسكري فيها وقال لي لا بد ان نجد جسيمات ليشمان ودونوفان في بعض هذه الطُحُل المتضخمة فبزلنا نحواً من عشرين طحالاً وفحصنا الدم المستخرج منها فلم نعثر على شيء من ذلك . وكان اول من وجد هذه الجسيمات الدكتور لِيف عثر عليها في طحال مريض في مستشفى ام درمان وذلك في مايو سنة ١٩٠٤ الاّ ان الدكتور لفران الشهير كان قد سبقهُ وذكر اصابة بهذا الداء في تونس قبل ذلك بشهرين ثم ذكر الدكتور فلبس انهُ شاهد اربعة من المصابين بهِ في قصر العيني وذلك في اغسطس من السنة نفسها ويُظن ان اثنين منهم اعديا بالداء في بلاد العرب واثنين في مصر . ثم تكاثرت الاصابات في السودان ومعظمها في سنجه على النيل الازرق ومغازة وهي حلّة على نهر الرهد احد السواعد التي تمدّ النيل الازرق واصيب بهِ بعض الضباط والمرحوم الدكتور بيري من كلية غردون وجميعهم تولوا

انتقالهُ . ينتقل هذا الداء في الهند في طرق المواصلة فيسير في الاودية دون الجبال وسيرهُ بطيء بمعدل ١٤ ميلاً في السنة واذا تفشّى في جهة تتلّص من غيرها ومتى دخل قرية مكث فيها نحو خمس سنوات فهو شبيه في سيرهِ بالقرحة الساعية التي تبرأ من جهة وتمتد في غيرها . والغالب في تتلهِ ان يصاب بهِ احد القادمين الى قرية موبوءة فيبيت فيها ويتناول

الداء من اهلها وينقلهُ الى بلدهِ فيصاب بهِ اهل بيتهِ اولاً ثم غيرهم. ويبقى البيت ملوَّثاً زمناً طويلاً. ويزعم المشرد انهُ لا يمكن العودة اليهِ قبل مضي سنة. والرأي المعوَّل عليهِ الآن ان البق ينقل العدوى من شخص الى آخر فان صحَّ ذلك كانت اهميتهُ عظيمة لان البق كثيرٌ في مصر والسودان

اما في السودان فمعظم الاصابات بهِ إما على حدود الحبشة او على ضفاف النيل الازرق وسواعدهِ التي تخرج من تلك البلاد فيظهر ان سببهُ هناك كما هو في الهند اي في طرق المواصلة ولعلَّهُ جاء من الهند الى بلاد الحبش ومنها الى السودان

ويصاب بهِ الذكور والاناث والسود والبيض على السواء والمتبلدون اكثر من غيرهم ومتى اصابهم كانت وطأتهُ عليهم شديدة فهو بذلك مخالفٌ للملاريا

اسبابهُ. يرجَّح ان سبب هذا الداء اجسامٌ صغيرة في الكريات البيضاء تسمَّى جُسَيمات ليشمان ودونوفان سميت بذلك نسبةً الى مكتشفيها الكابتن ليشمان والكبائي دونوفان وكلاهما من اطباء الجيش الانكليزي. وتُرى هذه الجسيمات ايضاً في الترحة الشرقية المعروفة بحبة السنة وحبة حلب ولا نعلم ما هي العلاقة بين هذين الداءين ويظن الكبائي بوسفيلد وهو من الذين دققوا البحث في الداء الاسود ان الجسيمات التي في حبة حلب تختلف عن الجسيمات التي في هذا الداء في طبيعتها وان تكن تشبهها في الشكل والتركيب. ولا بد من نزل الطحال وفحص الدم المستخرج منهُ للعثور عليها او احداث نقاطٍ في الجلد بفركهِ بطرطرات الانتيمون وفحص الكريات البيضاء التي تتجمَّع في البثور

اعراضهُ. الداء الاسود حمى مزمنة مستمرة يصاحبها تضخُّم في الطحال والكبد وضعف وهزال وفقر في الدم وغالباً استسقاء زقي وارتشاحٌ في الساقين والقدمين وفي بعض الاحيان كلفٌ وبرقان. ومدتهُ من شهرين الى ثلاث سنوات ومعدلها عشرة اشهر وهو ينتهي غالباً بالموت اما باعراضٍ معويَّة كالدوسنطاريا او رئوية كالسل وذات الرئة

تشخيصهُ. قد يلتبس بالملاريا وهي مالطة والداء المعروف بالتصلُّب المصري في الطحال والكبد. ويثبتهُ فحص الدم ووجود جسيمات ليشمان ودونوفان اما عدم العثور عليها فليس دليلاً على نفيهِ. والداء المعروف بالتصلُّب المصري في الطحال والكبد يشبههُ كثيراً ويظن بعضهم انهُ هو بعينهِ

الانذار. هو داءٌ قتَّال ينتهي غالباً بالموت ومعدَّل الوفيات بهِ ٩٦ في المائة

الحلاج ٠ لا يعرف لهُ دواء شافٍ ولا سبيل الى التخلص منهُ الاَّ بالوقاية وهي تقوم بعزل المصابين وحرق البيوت الملوَّثة

والحكومة السودانية مهتمة بهِ اشد الاهتمام ففتحت اعتماداً قدرهُ ٢٠٠٠ جنيه وعينت لجنة من الاطباء واتفدتها الى جهات النيل الازرق لدرس الداء ومقاومتهِ ومعظم الفضل في ذلك راجع الى اطباء الجيش المصري والى الدكتور بلفور من مدرسة غوردون ولهذا الاخير شهرة واسعة في عالم الطب وقد استعنت كثيراً بتقريرهِ في كتابة هذه السطور

امين المعلوف

الكوليرا والصحة في مكة المكرَّمة

(تابع ما قبلهُ)

افرد المؤلف فصلاً وصف فيهِ الوباء الذي نشا في الحجاز سنة ١٨٩٣ وقال انهُ كان شديد الوطأة جدًّا بلغ عدد الوفيات بهِ في مكة وضواحيها ثلاثين الفاً وذلك بين مئتي الف من الحجاج ٠ ثم عدَّد الاسباب التي من رأيهِ لها التأثير الاعظم في زيادة عدد الاصابات والوفيات وهي ما يأتي ملخصاً

١ الازدحام ٠ تزدحم المساكن كثيراً في موسم الحج فالغرفة التي لا تسع ثلاثة اشخاص يقيم فيها خمسة عشر ويكاد الواحد منهم لا يجد موضعاً ينام فيهِ ٠ وهذه المساكن يستأجرها المطوفون ومن مصلحة الواحد منهم ان يكثر عندهُ عدد الحجاج ما امكن وهو سبب هذا الازدحام الكثير ولا يخفى على القارئ البصير الضرر الذي ينتج عن ذلك في اماكن قليلة يتجدد هواؤها فتضعف قوة الحجاج ومقاومتهم للامراض المعدية ولا سيما ان كثيرين منهم فقراء وظاعنون في السن فاذا حدثت بينهم اصابة بالكوليرا كان تعرُّض الباقين للعدوى شديداً ٠ وقد وجدت بالاختبار ان الوفيات في هذه الاماكن اكثر مما هي في غيرها

٢ الانحلال ٠ كنت اظن قبلاً ان الازدحام هو السبب الاعظم في كثرة الوفيات لكنني بعد ان راقبت سير هذا الداء في مني وجدت ان الانحلال الذي يتطرق الى جثث الحرفان التي لم تجد هناك هو اهم الاسباب التي ينتج عنها كثرة الوفيات ٠ ولا يخفى ان كل واحد من الحجاج يضحي بشاة واحدة او اكثر فيبلغ عدد الضحايا في بعض السنين ٣٠٠٠٠٠ تطرح بعضها في حفر تصنع لذلك ويترك اكثرها معرضاً للشمس والهواء فيتطرق اليهِ

الاغلال من اول يوم من ايام العيد ويبلغ اشدّه في اليوم الثالث . وقد وجدت بالاختبار ان الماء يزداد فكاً بازدياد الاغلال ويبقى على شدته بين الحجاج الى ما بعد انصرافهم من منى فان العفونة المنبعثة من الجثث تؤثر في قوام فتضعف مقاومتهم للامراض ولهذه الاسباب يبقى الماء شديداً بينهم الى ما بعد ايام العيد

٣ المساكن . يقيم بعض الحجاج في كهوف لا يتجدد هواؤها الاّ قليلاً ولا تدخلها الشمس مطلقاً والاصابات والوفيات بين هؤلاء كثيرة جدّاً

٤ التغذية . لا ريب ان سوء التغذية في بعض الحجاج يجعلهم اكثر تعرضاً لاعدوى من غيرهم وكثيرون منهم فقراء يعيشون بما يجود به الموسرون منهم وينتدي بعضهم بما كل عسرة الهضم جدّاً وبعضها فاسد وكل ذلك يؤثر في حالة القناة الهضمية فيجعلها اقل مقاومة للعدوى

٥ انتشار البالشوس . وهو من الاسباب التي لها اهمية كبرى في تفشي الداء وكثرة العدوى ويما يساعد على ذلك ازدحام الشوارع والمساكن

٦ مياه الشرب . الماء في مكة غزير وفيه كل الخواص التي تجعله صالحاً للشرب ويجرّ الى المدينة من مكان يبعد عنها نحو ٣٠ كيلومتراً في قناة مبنية بالحجر . وغير هذه القناة سبع عرفات على بعد ٥٠٠ متر عن موقف الحجاج وهناك صهريجان كبيران يصب اليهما الماء بقناة تتفرع من القناة الكبرى ويملآن كل سنة قبل قدوم الحجاج . ثم تمرّ القناة في منى على مسافة كيلومترين من مكان نزول الحجاج وهناك ثلاثة صهاريج يأتيها الماء من القناة الكبرى . وفي منى صهاريج اخرى في البيوت وهي ملك لاصحابها يملأونها من ماء المطر او ينقلون اليها الماء من القناة الكبرى على ظهور الجمال . وفي القناة الكبرى عيون كثيرة يشرب منها الاعراب وغيرهم

وتنقسم القناة عند وصولها الى المدينة الى فرعين يتوزع منهما الماء في جميع احياء المدينة وفي كل حيّ سبيل مؤلف من عدة احواض يصب الواحد منها في الآخر وما يفيض من الماء ينصرف الى بساتين خارج المدينة . وتحت كل سبيل صهريج يحفظ فيه الماء الى وقت الحاجة فيملأ السقاؤون قربهم منه ويبيعون الماء في البيوت . والاستقاء من هذه السبل مباح للصادر والوارد والبعض يسقون ثيابهم فيها . وماء مكة نقي صافٍ لكنه يتعكر حينما ينزل الحجاج عرفات ومنى ويستنتج من ذلك ان له علاقة بانتشار الوباء لكني وجدت الحقيقة خلاف ذلك فان الوفيات لا تزداد في عرفات ومكة في يوم وقفة العيد ولا في منى في اول يوم من

ايام العيد مع ان الماء يكون متكرراً في هذين اليومين . ولا يمكن ان تنسب قلة الوفيات في عرفات الى قصر مدة الحضانة في هذا الداء اذ لو صح ذلك لزادت في اول يوم من ايام العيد لكنها لا تزداد قبل اليوم الثاني حينما يشتد الاختلال في الجثث

اما مكة فلا يكاد يحدث فيها وفيات في يوم الوقفة واول يوم من ايام العيد ولعل سبب ذلك ان في سكانها بعض المناعة من هذا الداء لكن هذه المناعة لا تفيدهم كثيراً لو كان الماء الذي يشربونهُ ملوثًا بالباشلوس

وصهاريج الماء في منى مقفلة اقفالاً محكماً يجعل تلوثها بالداء صعباً جدًّا . وقد قلنا ان الوفيات في عرفات حيث الماء عكر اقل منها في منى حيث الماء صافٍ نقيّ ولو كان الماء هو السبب في انتشار الداء لكان الامر على الضد من ذلك

ثم ان تلوث الماء في مكة سهل جدًّا لكني لم ارَ ما يثبت ذلك مطلقاً فوارث الكوليرا ظهرت اولاً في احد الاحياء وانتشرت منهُ الى الاحياء التي تستقي من المياه التي تمر فيهِ فقلنا ان للماء علاقة بانتشار الداء لكنهُ لم يحصل شيء من هذا فالداء يظهر اعتباديًا في الاحياء السفلى او المتوسطة من المدينة حيث يزدحم الحجاج ولاسيما الفقراء منهم ويتبع الجماهير في سيرهم ولا يتخذ الطريق التي يسير فيها الماء ولا انكر ان الكوليرا يمكن ان تنتشر بواسطة الماء لكني لم ارَ ما يؤيّد ذلك في مكة فالماء فيها جارٍ لا يعيش فيهِ الباشلوس والصهاريج تفرغ وتنظف كل مدة فلا يمكن ان يقيم فيها مكروب الداء مدة طويلة

نظام المصلحة الطبية في مكة

قامت القيامة على الحكومة بسبب فتك الكوليرا سنة ١٨٩٣ واهتم السلطان السابق بذلك واصدر ارادتهُ باتخاذ الاحتياطات اللازمة لوقاية الحجاج وارسلت الاوامر تباعًا فقدّمتُ تقريراً الى ذوي الشأن اشرت فيهِ باتخاذ الاجراءات الآتية

اولاً . تعيين اربعة اطباء لمساعدة مفتش الصحة في مكة يقيمون فيها من اول رمضان الى اول محرم اي اربعة اشهر

ثانياً . انشاء صيدلية (اجزاخانة) في مكتب الصحة يكون فيها ثلاثة صيادلة احدهم مسئول والاثنان الباقيان يقيمان مدة اقامة الاطباء الاربعة

ثالثاً انشاء فصيلة من البوليس الصحي يكون فيها ثلاثة ضباط تعطى لهم قوة تنفيذية في ما يختص بالمصلحة الطبية

رابعاً . تعيين صرّاف وكاتبين

خامساً . انشاء مستشفى يسع خمسين سريراً وليه عدد من النقالات

سادساً . تعيين مبلغ ٧٨٤٠٠ قرش لتنظيف الطرق وكنسها

سابعاً . تعيين مبلغ ٢٠٠٠٠ قرش سنوياً تصرف في دفن فضلات الجثث التي يضحّى بها في منى

ثامناً . تعيين فصيلة من المرضين مؤلفة من ٣٠ نفراً

والغاية من هذا النظام منع الازدحام وحفظ الشوارع والمساكن التي يقيم فيها الحجاج في حالة حسنة ومنع الحجاج من الاقامة في الاماكن التي لا يدخلها الهواء ونور الشمس ومنع المآكل المضرة بالصحة ودفن الجثث ونقل المرضى الذين يصابون في الشوارع والبيوت وعزلهم والاعتناء بهم وتطهير البيوت الملوثة وحفظ الماء نقياً على قدر الامكان

فوافقت مصلحة الصحة على تقريري هذا بعد ان عدلتهُ قليلاً وصدرت الارادة السنية بتنفيذهِ فارسل اربعة اطباء وثلاثة صيادلة وثلاثة من ضباط البوليس الطبي وصرّاف وكاتبان وسبعة وثلاثون ممرّضاً وانشئ مستشفى يسع خمسين سريراً ثم زيد عليهِ الاطباء فبلغ ستة والاسرّة في المستشفى فصارت مئة

وافرد المؤلف فصلاً وصف فيهِ وباء سنة ١٨٩٥ والاجراءات التي اتخذت لمقاومتهِ قال كان الاطباء وغيرهم من رجال الصحة يفتشون منازل الحجاج يومياً ومنع بيع المآكل الفاسدة ونظفت الشوارع وطهرت الاماكن العفنة فيها بالكلس واقفلت الاحواض الصغيرة في سبيل الماء ووضع لها انابيب يشرب منها واوقف عليها الحفراء حتى لا يلوثها الناس . وكان الاطباء يعالجون الحجاج والاهالي ويصرفون لهم الادوية مجاناً وحمّلوا النقالات يجولون في في الشوارع لنقل المصابين الى المستشفى . واعتني بنوع خاص بدفن الموتى ولم يسمح بدفن احد ما لم تعلن مصلحة الصحة بذلك . اما امتعة المصابين فكانت تحرق قبل خروجهم من المستشفى ويصرف لهم بدلاً عنها بدون مقابل

ولم يخلُ الامر من مقاومة شديدة في تنفيذ هذه الاجراءات الاّ ان المرحوم عون الرفيق باشا امير مكة الاسبق كان خير مساعد لرجال الصحة فامر باحضار فضلة التطهير الى بيتهِ واستعملها في تطهير الغرفة التي كان جالساً فيها ومعه جماعة من اشراف المدينة واعيانها . ولما رأى الناس في الشارع ينظرون الى ذلك امر بنضح ثيابهِ والمكان الذي كان جالساً فيهِ فكان لعمل هذا احسن تأثير في الناظرين ولم تعد تحصل لنا مقاومة في اعمالنا الطبية

وجاءت هذه الاحتياطات الطبية بنتيجة حسنة جداً فكان عدد الوفيات في مكة

وضواحيها ٣٠٦ فقط وهو عدد لا يذكر بالنسبة الى وفيات سنة ١٨٩٣ . ولا ريب في ان الاجراءات الطبية هي السبب الاعظم في ذلك لا أنّ الوباء كان خفيفاً اذ لو صح هذا الفرض لكانت الوفيات قليلة بين الحجاج الذين سافروا بعد ذلك من مكة الى المدينة في ركب واحد مؤلف من ٤٠٠٠ حاج توفي خمسة آلاف على الطريق وفي المدينة المنوّرة اي اكثر من الثلث وكان قد بقي في مكة ٣٠٠٠٠ حاج فاخذت الوفيات بينهم تتناقص الى ان تلاشى الوباء قبل رجوع الركب المذكور

ولا بد ان اقول قبل الختام ان مكة في حاجة الى اصلاحات غير ما ذكرت . منها توسيع الشوارع وغرس الاشجار فيها وتشجيع الاهالي للبناء خارج المدينة فيخف الازدحام بذلك . ولا بد من اصلاح الماء ايضاً وجرّه بالانابيب وهذا الامر لا يتم دفعةً واحدة

اما رأيي في انتقال الماء مع الحجاج من المنهل فقد ذكرتهُ آنفاً واضيف الى ذلك ان الاصلاحات التي ادخلت في محجر جزيرة قمران في هذه السنوات الاخيرة تجعلنا نأمل اننا نصل الى نتيجة يمنع بها انتقال الماء الى مكة

بقي علينا امر سكة حديد الحجاز والخوف من انتقال الماء الى الشام بها فقد عينت الحكومة العثمانية لجنة مؤلفة من الدكتور كليو المندوب الانكليزي والمسيو بادل المندوب الالماني والدكتور ستا كولس المندوب الهولاندي وجميعهم من المجلس الصحي العالي في الاستانة ومن كاتب هذه السطور وذلك للبحث في نقطة تكون موافقة لبناء محجر على الخط الحجازي فقرّ الرأي على انتخاب محطة تبوك وهي تبعد ٦٩٣ كيلو متراً عن دمشق و ٢٣٣ كيلو متراً عن معان آخر محطة مأهولة وسيبنى محجرٌ كبير هناك

هذا ما رأينا تلخيصهُ من رسالة الدكتور قلسم بك عن الدين ففيها من دقة البحث ومن الآراء الصائبة ما يشهد لهُ بالخبرة وبعد النظر لاسيما وقد اقام في الحجاز وقمران سنوات عديدة فاذا قال شيئاً كان قولهُ عن خبرةٍ تامة . ويحسن بالحكومة العثمانية ان تسرع في اجراء الاصلاحات التي اشار بها ولاسيما الماء فهما قال حضرتهُ دفاعاً عن الماء فذلك لا ينفي احتمال تلوثهِ بعدوى الكوليرا كما فشت في القبائل النازلة حيث يكون مجرى الماء مكشوفاً ولاسيما اذا توفي بعض الحجاج بالكوليرا واخذ العرب ثيابهم وغسلوها في مجرى الماء . والصهاريج تحت السبل في احياء المدينة لا نعلم ماذا يمنع تلوثها وقد يكفي لتلويثها ان ينغمس فيها ابريق امسك به شخص مصاب بالكوليرا او مقيم مع شخص مصاب بها

ويحسن بالحكومة ان تنشئ معملاً بكتيريولوجياً في مكة كالمعمل الذي في الخرطوم وتعين له اطباء اختصاصيين . ولا نرى عدد المرضين والبوليس الصحي كافياً لو تفشت الكوليرا هناك ولا عدد الاطباء والاسرة في المستشفى فانهُ اذا روقبت الحوادث الاولى وفرز المصابون كلهم وكان ماء الشرب نقياً ابن انتشار الكوليرا دائماً كما دلَّ الاختبار في مواسم الحج ببلاد الهند

ويحسن بنظارة الاوقاف المصرية ان تبني مستشفى في مكة لمعالجة الحجاج المصريين وغيرهم فعندها مال كاف لذلك وحبذا لو بُنيت منازل صالحة للسكن خارج مكة تقوم بنفقة بنائها أوقاف المسلمين وينزل فيها فقراء الحجاج ويكونون تحت ملاحظة الحكومة . كل هذه الامور حرية بالنظر والعناية

مدارس الحكومة

وهي خطبة للاستاذ وليم هول رئيس القسم التجاري في المدرسة الكلية الاميركية ببيروت القاها باللغة الانكليزية امام جماعة من الادباء والافاضل في الشوير بلبنان

ان اولياء الامور في هذه السلطنة العظمى قد شعروا بان ترقية البلاد لا تقوم باستثمار المواد الطبيعية فقط بل لا بد ايضاً من اطلاق القوى العقلية الكامنة في هذه الامة العظيمة . فتصدير خيرات البلاد كالمعادن والغلال الى الاسواق الخارجية من الامور التي تستحق الاهتمام الشديد لكن تثقيف عقول الشبيبة بالعلم والادب اهم من ذلك وسيكون لزعماء النهضة الحديثة في هذه البلاد الحظ الاوفر في فتح خزائن العلم فانها اعلى قيمة من دفائن الارض

بدأ التاريخ الحديث بامرين عظيمين ايقظا اوربا من غفلتها كما تشاهد اليوم في اليابان والهند والصين وهما فتح القسطنطينية واكتشاف اميركا فنتج عن الاول ان علماء اليونان تشتتوا في اوربا وبثوا فيها روح العلم . واتَّسع نطاق المكونة باكتشاف اميركا فكثر ميل الناس الى السفر طلباً للكسب ورغبةً في الاكتشاف . واتَّفق ان عُرف فن الطباعة في ذلك العصر فكثرت الكتب واقبل الناس على مطالعتها وكان لا يقتنيها قبل ذلك الاَّ القسيسون والرهبان . وانتشر العلم بين الناس فزادوا تفكيراً وزادت احتياجاتهم بذلك فلجأوا الى الاختراع

ثم قام رجال كاللورد بأكن وغيره وقالوا ان العلم لا يقوم بدرس اللغات وقواعدها فقط بل بدرس العلوم الطبيعية ايضاً وان اللاتينية واليونانية لا تكفيان وحدهما لترقية العقل بل لا بد من المعامل التي تجري فيها الامتحانات العملية فانها تثقف العقل اكثر مما تثقفهُ خزائن الكتب بل ربما كان الناس في حاجة اليها اكثر من غيرها . فكان هذا القول اساساً بني عليهِ نظام التعليم في المدارس . ولم يكن للشعب في الاعصر الوسطى شأن في التعليم ولم يكن من سوغ لوضع الضرائب عليهِ للقيام بنفقات المدارس ولا لاجبار الاولاد ان يتعلموا فيها اذ ان مبدأ مدارس الحكومة التي تقوم الامة بنفقتها وادارتها يستوجب اجبار الاولاد ان يتعلموا فيها . لكنهم في ذلك الزمن لم يفكروا في وضع الضرائب وجمع المال الاَّ لتجهيز الجيوش وتركوا التعليم للرهبان والراهبات لان هؤلاء لم يكن لهم ما يشغلهم عنهُ . وكان الشعب يدفع اموالاً طائلة للكنيسة فتُرك لها امر التعليم . وبقيت الامور على هذه الحال الى ان اخذ الناس يفكرون في ان الكتب لا تكفي للتعليم بل لا بد من قرنها بالعمل والتجارب العلمية

ويجب ان لا ننسى فضل الرجال العظام الذين بدأوا في انشاء المدارس على الطرز الحديث مثل پستالوزي وفروبل وروسو وغيرهم وقد كان نصيبهم كنصيب غيرهم من المفكرين البعيدي النظر مخالفتهم معاصروهم وكفروا تعاليمهم لكن المبادىء التي وضعوها في ذلك الزمن هي التي تسير عليها مدارسنا الآن . وكان ملخص آرائهم ان التعليم لا يقوم بالاكثار من المعارف والعلوم بل باظهار القوى العقلية الطبيعية واعطائها ما يلزم لنموها . وهذا لا يشمل تعاليمهم كلها بل هو المحور الذي تدور عليهِ . ومن الاقوال المأثورة ان المعرفة قوة لكن المعرفة وحدها لا تكفي . فالقوة هي استعمال المعارف في استنباط نتائج جديدة . والفرق بين مدارسنا الآن وبين مدارس الاعصر الوسطى ان الذاكرة كانت ركن التعليم فيها فكانوا يعولون على اللغات وعلومها وربما اضافوا اليها قليلاً من العلوم الرياضية اما الآن فاننا ندرس كل العلوم على السواء لبعض العقول تثقف بالرياضيات وبعضها بالتاريخ وبعضها بالعلوم الاخرى فلا بد من ان نتعلمها كلها او نتعلم مبادئها على الاقل

اما سياق الدروس في هذه الايام فيجب ان يكون كما يأتي

١ اللغات . تختلف اللغات التي تدرس باختلاف البلاد فتكون في بلاد الانكليز مثلاً الانكليزية والفرنسوية واللاتينية واليونانية . اما في هذه البلاد السورية فيجب ان تكون العربية والفرنسوية والتركية

٢ الرياضيات . يُبدأ بالحساب البسيط ثم يرتقى في درس هذه العلوم حسب درجة المدرسة

٣ التاريخ . يبدأ بدرس اخبار الرجال العظام والحوادث الهامة ثم يعلَّم تاريخ البلاد والتاريخ العام والجغرافية السياسية

٤ العلوم الطبيعية . تدرَّس اولاً مبادئ العلوم الآتية ثم يتوسَّع فيها وهي الحيوان والنبات والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والفلسفة الطبيعية والكيمياء . ولهذه العلوم اهمية كبرى اذ بها يتعلم التلميذ ماهية الاشياء المحيطة به

٥ الفنون الجميلة . وهي تشمل الموسيقى وهندسة البناء وغيرها من الفنون

٦ الآداب . ويدخل تحت ذلك علوم الدين والفلسفة الادبية او الاخلاقية لان العلم لا يكون تاماً ما لم يصل الى الاساس الذي تبنى عليه الاخلاق

٧ علوم الصحة . وأعني بها العلوم التي من شأنها تحسين الجسم وحفظ الصحة وهي تشمل الهيجين والفسيولوجيا والرياضة البدنية

٨ التسم العملي . وقد ادخل ذلك حديثاً في سياق الدروس وهو يشمل الاعمال اليدوية كالنجارة والحدادة للصبيان وشغل الابرة والطبخ للبنات . ويشمل ايضاً مسك الدفاتر والكتابة المختزلة واستعمال الآلة الكاتبة وما اشبه

وقد قال هربرت وهو صاحب الرأي المعوَّل عليه الآن في طريقة التعليم على اساس عقلي ان غاية التعليم القصوى تدريب الارادة ليبنى عليها اساس الاخلاق ويتم هذا الامر بترقية الطبائع كلها وبدون ذلك لا يصير الفكر صائباً ولا تصير الارادة قوية والاخلاق كاملة . ولا ريب في ان الاخلاق الكاملة امرٌ لا يمكن الوصول اليه لكنهُ يجب علينا ان نضعهُ نصب اعيننا

ولمقتضى التربية في هذا الزمن ان يكون لكل ولد نصيب من الفهم يرثهُ من المعارف التي جمعها ترقي البشر على توالي الدهور وهذا الارث الذي لكل واحد نصيبٌ منهُ يزداد يوماً فيوماً وهو في ايامنا اعظم كثيراً مما كان في سالف الدهر . وما يرثهُ اولادنا من المعارف يكون اكثر كثيراً مما ورثهُ آباؤنا . والامور التي يجب على الولد معرفتها الآن ليتمكنهُ الخوض في معترك هذه الحياة اكثر كثيراً مما كان يحتاج اليه لو ولد منذ خمسين سنة . ولنضرب لكم مثالاً لذلك فان آباءنا كانوا يعرفون منها ان وضع قضيب من الفولاذ على سطح بيت وايصاله بالارض يحمي ذلك البيت من الصواعق وهذا جلُّ ما كانوا يعرفونهُ عن الكهربائية اما الآن فيجب على اولادنا ان يعرفوا منها التلغراف والتلفون واستعمالها لتوليد القوى المحرِّكة وغير ذلك

وما تقدم هو مثال من الثروة العقلية التي لكل ولد حق في ان ينال نصيباً منها وعلينا ان نجد طريقة للوصول الى اعطائه هذا الحق . فاذا توفي رجل عن ثروة مالية نظرت المحاكم الشرعية في تقسيم هذه الثروة بين ورثته وتكون في ذلك نائبة عن الحكومة . وكما تنظر الحكومة في توزيع الثروة المادية عليها ان تنظر ايضاً في توزيع الثروة العقلية وهي اكثر اهمية من الاولى لانهُ لم يجمعها شخص واحد بل جمعها الجنس البشري كلهُ وعلى الحكومة ان تقوم بتوزيعها على ابنائها كلهم . فلهذه الاسباب وضعت المدارس العمومية تحت سيطرة الحكومة وهي مسؤولة عنها امام الامة

ومن الامور المسلم بها ان التعليم بضع سنوات في المدارس لا يكفي لاعطاء كل ولد نصيبهُ من العلم فالمدرس يجب ان يلازم الانسان حياتهُ كلها وعلى المدارس ان تثقف العقل وتهيد قواهُ لذلك

اما مدارس الحكومة فقائمة على المبادىء الآتية

١ لكل ولد حق ان ينال نصيبهُ من الثروة العقلية التي هي ملك الجنس البشري من غير نظر الى الجنس واللون والثروة المادية والشرف الموروث وغير ذلك

٢ على الحكومة دستورية كانت او استبدادية ان تدبر الوسائل الفعالة التي تجعل الاولاد يتمتعون بحقوقهم في هذا الميراث ويقوم ذلك بانشاء المدارس العمومية ويكون عدد هذه المدارس كافياً والتعليم فيها متقناً . وقد عُلم بالاختبار ان هذه المدارس اكثر اتقاناً في الحكومات الدستورية منها في الاستبدادية

٣ من مصلحة افراد الامة جميعهم وليس الاباء فقط تعليم الاولاد لانهُ بالعلم يتسع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة وتسمو الآداب فتنتفع الهيئة الاجتماعية كلها بذلك ولا يقتصر النفع على آباء الاولاد

٤ اذا كانت الامة تنتفع بالتعليم العام واذا كان من واجبات الحكومة ان تقوم بنفقات هذا التعليم فللحكومة الحق ان تضرب الضرائب على الامة لقيام بهذه النفقات

٥ واذا فرض على الامة ان تقوم بنفقات التعليم وهو كلما زاد انتشاراً زادت فائدتها بهِ فلا بد من وضع قانون لجعلهِ اجبارياً فانهُ كلما زاد عدد المتعلمين زاد انتفاع الامة التي تقوم بهذه النفقة

ولملخص ذلك كلهِ ان على الحكومة ايجاد الوسائل الفعالة للتعليم المجاني وبما ان كل فردٍ من الامة ينتفع بهذا التعليم فعليهِ ان يشترك في نفقاتهِ وعلى الحكومة ايضاً ان تسن نظاماً يجبر

الاولاد على الحضور الى المدارس

وعلينا ان نبحث الآن في امرين اولهما ما هي درجات التعليم التي يطلب من الحكومة القيام بها في مدارسها والثاني ما هي الدرجة التي يطلب من التلميذ الوصول اليها قبل ان يترك المدرسة اما الجواب عن الامر الاول فسأذكره ملخصاً في آخر كلامي واجيب عن الثاني بانهُ ليس من المحتم على التلميذ الوصول الى درجة قصوى بل حسبهُ ان يتعلم حتى تصير لهُ معرفة كافية تجعلهُ ينتفع بما يقع حولهُ . وفي اكثر البلدان التي فيها التعليم اجباري يطلب من التلميذ ان يبقى في المدرسة الى ان يبلغ السنة الرابعة عشرة من عمرهِ وهو النظام الذي جرت عليهِ المانيا والتعليم فيها على اتم ما يكون

اما التعليم بموجب هذا النظام فيشتمل على القراءة والكتابة والحساب والجغرافيا وتاريخ الوطن وفي غالب الاحيان الموسيقى والرسم والتمرين اليدوي . واذا تمكن التلميذ من الحصول على هذه الدرجة من التعليم كان لهُ ما يكفيهِ للدخول في معترك الحياة

واريد الآن ان اذكر ملخص نظام مدارس الحكومة وقد اخترت النظام المتبع في الولايات المتحدة لا لانهُ افضل من غيرهِ بل لاني خبير بهِ وهو لا يختلف كثيراً عن نظامات البلدان الاخرى

١ اوقفت الحكومة في اول نشأتها جانباً من املاكها على التعليم واضافت الى ريع هذه الاملاك جزءاً من الضرائب المحصلة من البلاد وسنّت نظاماً يوزع بهِ هذا المال على المدن والقرى . ويحق لهذه المدن ايضاً ان تفرض ضرائب داخلية لنفقة مدارسها الخاصة

٢ لمعارف نائب تنتخبهُ الامة وتحت ادارتهِ نظارٌ آخرون لكل ولاية ناظر وفي كل مدينة مجلسٌ لمعارف مؤلف من ثلاثة اعضاء فاكثر ينتخبون بالاقتراع . ومن واجبات النظار تفتيش المدارس وامتحان المدرسين ومنحهم الشهادات اللازمة ولا يعين مدرس ما لم يكن بيدهِ شهادة من نظارة المعارف

٣ في كل مدينة عدد كافٍ من مدارس الحكومة وهي قائمة في الاماكن المناسبة من احياء المدينة وفي بعض المدن مدرسة عالية يدخلها التلامذة الكبار الذين يستعدون للدخول الى الجامعة . اما المدن الصغيرة والقرى ففيها مدرسة واحدة فقط يحضرها الكبار والصغار من الاولاد وفي بلاد الفلاحين حيث البيوت متفرقة تكون المدرسة في نقطة متوسطة بينها . وهم يسعون الآن في تسيير عربات تمر على بيوت الفلاحين لنقل الاولاد الى المدرسة متى كانت بعيدة عنهم

ومدارس الحكومة في المدن وغيرها مبنية في اجمل المواقع وبناؤها حسن جدًّا وفرشها متقن الى الغاية

٤ ينقسم التعليم الى اثني عشرة درجة او فرقة لكل درجة سنة من سني التعليم فاذا دخل الولد المدرسة في السادسة من عمره وخرج في الثامنة عشرة يكون قد اتم التعليم المفروض في المدارس العليا وصار اهلاً لأن يدخل الجامعة

٥ الغاية من التعليم في هذه المدارس اعداد التلميذ للدخول في الجامعة وسياق الدروس يشمل المواد التي ذكرت آنفًا وهي اللغات والرياضيات والتاريخ والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة وعلوم الدين والآداب والصنائع والرياضة البدنية

ويعتنى بنوع خاص بالاشغال اليدوية فمتى كان الاولاد (اي الصبيان والبنات) بلغوا الثامنة من العمر علّموا الحفر البسيط على الخشب والغاية من ذلك تمرين العين واليد على الدقة والاتقان في العمل ثم تعلم البنات الخياطة والطبخ والصبيان التجارة وغيرها من الصنائع ويطلب هذا التعليم اليدوي من جميع التلامذة اغنياء كانوا او فقراء . وفي السنتين الاخيرتين يعلّم البنات التفصيل والتصوير والصبيان الرسم وقد ادخلت بعض المدارس تعليم الكتابة المختزلة ومسك الدفاتر والتجارة واستعمال الآلة الكاتبة وغير ذلك . فالغاية من التعليم في هذه المدارس ليس فقط اعداد التلميذ لدرس العلوم العالية بل تدريبهُ على الاعمال المطلوبة منهُ في معترك الحياة . وهذه العلوم كلها مجانية واجبارية ويطلب من كل ولد ان يذهب الى المدرسة الى ان يبلغ الرابعة عشرة من عمره على الاقل

٦ ولم تكتفِ الحكومة الاميركية بالمدارس الاعدادية او التجهيزية بل انشأت ايضًا مدارس جامعة تدرّس فيها العلوم والفنون العالية كالهندسة والطب والصيدلة والحقوق وطب الاسنان وغيرها والتعليم فيها مجانيٌّ لكل اولاد الامة من ذكور واناث فيمكن للولد ان يدخل المدرسة في السادسة من عمره ويتعلم على نفقة الحكومة ست عشرة سنة

٧ وللحكومة ايضًا مدارس خاصة لا علاقة لها بالمدارس الجامعة وابوابها مفتوحة لجميع الطلبة . فمنها المدارس الزراعية ومدارس التعدين وغيرها للعميان والصم والبكم ومدارس لاصلاح الاحداث

فهذا النظام في التعليم تقوم الحكومة بنفقاته كلها من ريع الاملاك المخصّصة لذلك ومن الضرائب المفروضة على الاهالي لكن هذه الضرائب خفيفة جدًّا لا تذكر بالنسبة الى نفقات التعليم في المدارس الخاصة

وما ذكر ملخص نظام التعليم في الولايات المتحدة وغيرها ونظام بعض الحكومات في اوربا مثلهُ تقريباً ويجب ان تسير عليهِ كل الحكومات التي ترغب في حفظ كيانها بين الشعوب المتمدنة فان عظمة الحكومة لا تقوم بكثرة جيوشها وقوة اساطيلها وغناها المادي بل برجالها. وما احسن ما قالهُ افلوبوس الفيلسوف اليوناني منذ نحو اثني عشر لاهن ازمير وهو « ان مدينتكم هذه اجمل مدن العالم فالبحر ملكها وبنابيع زيفروس في حوزتها لكن المدن تزدان برجالها اكثر مما تزدان بابنيتها وارونتها وصورها الجميلة فالرجال يشاهدون في كل مكان ويحدَّث عنهم في كل زمان فتعظم مدينتهم بقدر ما يزورون من البلدان »

واختم خطبتي بما قلت اولاً وهو ان عظمة هذه البلاد لا تقوم باستثمار مواردها الطبيعية بل بايجاد الوسائل التي بها تطلق القوى العقلية لتظهر وترتقي ويقوم ذلك بالتعليم والتهذيب

سورية ولبنان

(٦) مشاهدها

بلاد الشام كعبة المسيحيين يحجون اليها من اقطار المسكونة من اوربا واميركا وافريقية ومن بعض البلدان الاسيوية . وكعبة الاسرائيليين وارض الموعد التي يرجون ان يعودوا اليها يوماً ما و يُبيدوا مالك اسلافهم وغاية ما يتمناهُ بعضهم ان يدفنوا في ترابها . وفيها الحرم الشريف والمسجد الاقصى وبها يحجُّ الحج الشامي في ذهابهِ لاداء فريضة الحج . فهي مقصد لامم كثيرة تفد اليها سنوياً لغاية دينية . وفيها من المشاهد القديمة الدالة على سابق عمرانها وسالف مجدها ما لا مثيل لهُ في بلاد أُخرى فقلعة بعلبك بل هياكلها من ابدع ما بناهُ الناس في كل زمان ومكان . وآثار تدمر من اعظم آثار المدن القديمة وجامع دمشق يكاد يكون اعظم المساجد الاسلامية وكذا الحرم الشريف والمسجد الاقصى . وقد تيسَّر لي في هذه النوبة مشاهدة حصون عكاء ودير القلعة وقلعة بعلبك والجامع الاموي فوصفتها وصفاً موجزاً في ما يلي

حصون عكَّاء

عكَّاء من اقدم مدن الشام ذكرت في سفر القضاة الاول من اسفار التوراة وعدَّها اليونان من مدن فينيقية وغيَّر اسمها في عهد البطالسة فسميت بطلمايس لكن ما لبث اسمها الجديد ان نسي وعاودت الى اسمها القديم . استولى عليها العرب سنة ٦٣٨ للميلاد وتقلبت عليها الثورات خمسة قرون فكانت تعمُّ ثارة وتذل اخرى حتى لم يبقَ فيها شيء يذكر من مشاهدها القديمة

غنمت فرصة اقامة الباخرة في حيفا فزرتها لاشاهد حصونها ودار الجزار التي قتل فيها بسراريه . والحصون بعضها اطلال دارسة وبعضها لا يزال على جدته كان مهندسي الاستحكامات اقوه بالاس . وقفت في تلك الاطلال الدوارس واطلقت العنان للخيال وكأني كنت اسمع هزيم المدافع من البر والبحر وارى القنابل ترشق من هنا وهنالك فتخرق الحصون او ترتد عنها . وتصيب البوارج او تقع حولها . والجنود يأخذهم الحماس فيبيعون الارواح بيع السماح ولا يحجمون عن تجرع كؤوس الردى . وانين الجرحى يفتت الاكباد واوصال الخامية تتطاير من الاجساد . ثم استحر القتال وعطلت القنابل على الحصون هطول السيل الى ان اصابت قنبلة مخازن البارود فضجت الآذان ونظايرت الحجارة والمدافع والاتربة والاشلاء كأن بركانا فغر فاه وقذف بالصخور والحمم فانتصبت عموداً بين الارض والسماء ثم انتشرت وتساقطت حتى غطت الغبراء . هذا ما فعلته قنابل الانكليز والفرنسويين والعثمانيين يوم استخلصت عكاء من الجنود المصرية وردتها الى الدولة العثمانية

وارتدت الخيال الى الوراء الى عهد الصليبيين وارتشرد قلب الاسد يهاجم هذه المدينة فتصدى رجالها واسوارها حتى بلغ عدد القتلى فيها وحولها مئة الف من النفوس . ولعل كل ذرة من ترابها انحلت من جسم محارب او انغمست بدمائه

ثم دخلت الدار التي سكنها الجزار ذلك الطاغية الذي انت بلاد الشام من جوره سنين كثيرة ولم تكن حياة الانسان لديه اثمن من حياة عصفور . والدار يسكنها الآن رئيس الطريقة البابية فهل يحسن فيها قدر ما اساء صاحبها الاول ليدفع الاساءة بالاحسان . وهل تدري النساء الاميركيات اللواتي يزرنه فيها انها شهدت افظع ما ارتكبه انسان بنسائه

الى جانب الدار برج عال تحته ارض فضاء تدل الدلائل كلها على انها الحديقة التي نزل الجزار اليها وقتل سراريه فيها . رأى مرة طاقة من الازهار مع خادم اسمه نعوم ثم رأى تلك الطاقة مع واحدة من السراري فنظر اليها مشمئزاً وقال لها من اين اتيتِ بهذه الازهار بازليخة فقالت من الجنينة يا مولاي فقال لها باسماً قولي لي الصحيح يا بنتي ولا تخفي عني شيئاً فقد رأيت هذه الازهار مع نعوم الخادم فقولي لي من ارسلها اليكِ فازوجك به . فاغتاظت بكلامه وقالت له ان الخزندار ارسلها اليها . فقام ونزل بها الى الجنينة والبلطة في يده وقبض على شعرها ورماها على الارض وقال لها اخبريني يا لعينة من شاركك من بقية السراري . فجعلت تبكي وتتوسل اليه لكي يرحمها وقالت له انها هي وحدها المذنبة ولا شريك لها في ذنبها فرمى البلطة من يده واستل سيفه وقطع رأسها ثم امر فأتوه بثلاث من السراري غيرها فحز رؤوسهن

يده وتادي باربعة من الطوّارة وامر باحضار سائر السراري فساروا ينزلونهنّ الواحدة بعد الاخرى ويذبحونهنّ امامهُ حتى ذبح خمس عشرة من اولئك الحسان اللواتي لا ذنب لهنّ غير جمالهنّ وغيرتهُ العمياء عليهنّ

وبنى الجزار في عكاء جامعاً وحماماً نهب لاجلهما انقاض المباني القديمة في قيصرية وصور وعسقلان وسخّر الناس في بنائهما ونقل الحجارة والاعمدة اليهما وكان يذهب بنفسه عصر كل نهار لمشارفة العمل فسير الانكشارية في مقدمة الموكب وهم بالسلاح الكامل ووراءهم النفكجية على الاقدام ويد كلٍّ منهم سوط من جلود الثعبان ثم الجلاد ويده البلطة التي يقطع بها الرؤوس ووراءه الجزار على جواده وخلفهُ جمهور كبير من الخصيان والمماليك والشيقجية والخدم والحشم وكلهم طوع امره ورهن اشارته ويُبسط لهُ بساط في مكان مرتفع يشرف على البناء فيجلس عليهِ والشبق في يده وهو يجيل طرفهُ في ما امامهُ وعيناهُ كعيني النسر حتى اذا رأى احداً واقفاً عن العمل امر بقطع رأسهِ . وهناك كان يهتز تنهد العمّال من الشعب بأنينهم من الالم

لم استطع رؤية الحمام لاني دخلت عكاء بعد الظهر وهو الوقت المخصص لاستحمام النساء لكنني رأيت الجامع وحرمهُ لا يسمحون لاحد ان يدخلهُ وحذاؤهُ في رجلهِ ولو لبس فوقهُ خفّاً من عندهم كما في القاهرة ودمشق كأنهم يحسبونهُ اطهر من كل جامع سواهُ لان يد الجزار بنتهُ وجبلت طينهُ بدماء العمال . وهو قائم على اعمدة دقيقة من المرمر المجزّع ولهُ محراب من الرخام لكنني لم ارَ فيهِ جمالاً يستحق الذكر ولا نخامةً تقابل بفخامة الجامع الاموي ولعلّ انفصال بانيهِ السود سترت جمالهُ عن عينيّ . ومهما يكن من ذلك فعكاء تستحق ان يراها كل من يقصد بلاد الشام اذا تيسّر لهُ ذلك والطريق اليها من حيفا سهل على شاطئ البحر فيسار اليها بالمركبات العادية وبمركبات الاتمبوس

دير القلعة

المشاهد القديمة الباقية في لبنان كثيرة ودير القلعة واحد منها وهو على اكمة تشرف على بحر الروم وساحل بيروت وترى منها صفوح لبنان وما رصعتها بهِ يد الطبيعة من الحراج والبياض ويد الصناعة من المباني والبساتين وطرق المركبات تنساب فيها كبطون الحيات وقد أبدلت بها الطرق القديمة التي كانت مجامع لحجارة الحقول ومجاري لمياه السيول . وفوقها الطودان الكيهان صنين والكنيسة يناطحان السحاب وكأنهما وضعا في الارض اوتاداً لكي لا تميد بسكانها ومركبات سكة الحديد تسير الهوينا سير خود مكسال بل تدبّ دبيب الديدان على الرمال

قصدت دير القلعة من ظهور الشوير فلما وصلت بيت مري وجدت ان اليوم عيد قديسها مار سابسين والجوع مزدحمة في كنيسته وامامها والمركبات في انتظارهم وكلهم من اهالي لبنان والمصطافين رجالاً ونساء وصبياناً وبنات بوجوه بائنة وملابس فاخرة ماشون متخاصرين او جالسون في افياء الاشجار يمنون ويطربون . فتركنا المركبة هناك لان الطريق الى الدير لا تصلح لسير المركبات ومشيت بين اشجار السنديان وبساتين التوت الى ان بلغت قمة الاكمة حيث الدير وبقايا الهيكل القديم

كان هذا الهيكل معبداً للفينيقيين ويظهر من كتابات يونانية وجدت على حجارته انهُ كان مقاماً لبعل مركوس اي اله الالعاب او اله المواكب وقد بقي منهُ اساسهُ والمدماك الذي فوقهُ طولهُ ١٠٦ اقدام وعرضهُ ٥٤ قدماً وحجارتهُ صلبة كبيرة طول الحجر منها نحو ١٤ قدماً وعرضهُ نحو خمس اقدام او اكثر وكان امامهُ رواق قائم على ثمانية اعمدة كبيرة قطر العمود منها نحو ست اقدام ولم يزل اربعة منها قائمة لكنها متآكلة من العواصف والامطار . وقد بنيت كنيسة على الجانب الغربي من هذا الهيكل لتدل على النسبة بين قوة القدماء وضعف ابنائهم . وفي مباني الدير المختلفة كثير من الحجارة المنتقلة من الهيكل وعلى بعضها كتابات قديمة كتبت لتدل على نذور الناذرين وهبات الواهبين . وبين الحجارة قطع من تماثيل قديمة وجدت بين انقاض الهيكل . وحبذا لو رأت الطائفة المارونية الكريمة ما يراهُ عمالها الآثار وهو ان الاحتفاظ بآثار الآباء والاجداد ادعى للفخر من المباني التي بنيت منها وعلى اطلالها . فتنزع كل ما يسهل نزعهُ من المباني الجديدة وتجمع منهُ الحجارة القديمة التي فيها شيء من الدلالة على الهيكل القديم وتاريخهِ . والى جانب الهيكل صخور صلبة كالمرمر الجزع واذا ثبت بالتنقيب انها كثيرة ففيها ثروة وافرة

قلعة بعلبك

زرت بعلبك ثلاثاً قبل الآن ووصفتها في المقتطف بالاسهاب ولكن كان ذلك قبل ان عنيت الحكومة الالمانية برفع الانقاض المتراكمة فيها واظهار ما كانت عليهِ قبل ان تخربت فلم ارَ لي بدّاً من زيارتها الآن ومشاهدة ما اظهرتهُ يد التنقيب فيها ولو ان اليد التي اظهرت رسومها استولت على الجانب الاكبر من دفائنها ونقلتهُ الى بلاد الالمان . ولعلها احسنت صنعاً بما فعلت زمن الاستبداد والفوضى لئلا تتبعثر تلك الكنوز وتتلف . وعساها تنصف علم الآثار وتراعي حقوق الامم فترد ما اخذتهُ الى مكانهِ بعد استتباب الامن في البلاد والاحتفاظ بآثارها

ذهبت الى بعلبك هذه النوبة بسكة الحديد وقد اتيتها راكباً في النوبات الثلاث

الاولى . ولم تسمح لي الفرصة الآن ان اقيم فيها اكثر من بضع ساعات وتفضّل الصديق الكريم ميخائيل افندي موسى الوف البعلبكي فرافقني الى القلعة وشرح لي كل ما كشفتهُ لجنة التنقيب فيها وهو مؤلف كتاب تاريخ بعلبك وامين التحف التي فيها

والقلعة هيكلان قديمان اكبرهما هيكل المشتري (جوبتر) كبير الالهة ولعل دارهُ كانت هيكلاً لجميع الالهة . واصغرهما هيكل باخوس الهُ الخمر على المرجح . فلما تنصّر سكان بعلبك في اوائل العصر المسيحي بنوا كنيسة في دار الهيكل الاكبر ثم جاءت الدول العربية فجعلت البناء كلهُ قلعةً واضافت اليها اضافات كثيرة لتزيد حصانة كما سيجيء

وقد رأيت ان الخّص وصف هذين الهيكلين الآن من كتاب الوف افندي لانهُ وافى بالمراد ولأن مؤلفهُ قال لي ان المقتطف هو الذي رغّبهُ اولاً في درس آثار بعلبك ونقل عنهُ رسماً من الرسمين التاليين وهو رسم ارض الهيكلين كما كانا حينما تمّ بناؤهما . اما الرسم الثاني فنشر اولاً في المجلد السابع والعشرين من المقتطف على اثر تنقيب اللجنة الالمانية وقبل ان يتم عملها ونشر خلاصتهُ ولذلك لا يخلو من الخطإ والشكل الاول اصح منهُ

﴿ الرواق المقدّم عند الحرف ا ﴾ وهو مدخل الهيكل القديم يعلو عن سطح الارض ثمانية امتار فيصعد اليهِ بدرج كما ترى في الشكل الاول . طول هذا الرواق ٥٠ متراً وعرضهُ ١١ متراً وفي طرفيهِ غرفتان مزدانتان بنقوش كثيرة ومواقف للاصنام . وقد بنى العرب فوقهما مرامي للسهام . وكان في مقدم الرواق اثنا عشر عموداً من الحجر السماقي (الغرانيت) وامامها درج طولهُ خمسون متراً لهُ ثلاث مساطب والظاهر ان العرب نزعوا هذه الاعمدة لما حصنوا الهيكل وجعلوهُ قلعةً وذكوا الدرج الى اساسهِ وبنوا بحجارتهِ جداراً كبيراً فوق قواعد الاعمدة . وقد هدم الالمان الآن القسم الاكبر من هذا الجدار ليظهر الرواق بمظهرهِ القديم . وهناك كتابة لاتينية مكررة على ثلاث قواعد من قواعد الاعمدة يقال فيها ان احد قواد الامبراطور انطونينوس بيوس (كراكلا) ذهّب تاجي العمودين النحاسيين على نفقتهِ وفاء بنذر نذرهُ لآلهة هليوبوليس (اي بعلبك) المشتري والزهرة وعطارد

وكان الجدار الداخلي من الرواق مزدانًا بنقوش ومواقف للاصنام وقد ازالها العرب لئلاّ يتسلق عليها العدو . وكان في هذا الجدار ثلاثة ابواب اكبرها اوسطها علوهُ عشرة امتار وعرضهُ سبعة امتار وربع وسمك جدار الابواب ستة امتار وقد سدّ العرب الباب الاوسط والباب الايمن ففتح الالمان الباب الاوسط . وبين الابواب في قلب الحائط درجان لولبيان يصعد بهما الى سقف الرواق والبهو

﴿ البهو المقدَّس عند الحرف ب ﴾ وهو دار مسقفة قطرها خمسون متراً ما عدا الابنية التي تحيط بها وهي غرف او معابد كان امامها اعمدة من الغرانيت تشابهها اعمدة اخرى والرواق بينها كان مسقوفاً يمرُّ الناس تحتهُ في دخولهم الى الهيكل

﴿ البهو الكبير او هيكل كل الالهة عند الحرف ج ﴾ هو بناء مربع يحيط به اثنا عشر معبداً مفتوحة الواجهات وامامها عمد من الغرانيت وفي كل معبد منها صفان من مواقف الاصنام الواحد فوق الآخر . وكان امام المعابد كلها على الجهات الثلاث من البهو رواق كبير على اربعة وثمانين عموداً من الغرانيت طول كل عمود منها ثمانية امتار وقطرهُ نحو تسعين سنتمتراً وعلو قاعدته وتاجه متر و ٨ سنتمتراً وفوقهُ افريز وطنف بديعا النقش والزخرفة علوهما متر و ٨٠ سنتمتراً ايضاً والرواق بين هذه الاعمدة والمعابد التي وراءها كان مستوفاً سقفاً مسنماً اما سائر البهو فكان مكشوفاً . ولم يبقَ من هذه الاعمدة غير قواعدها وعمود صحيح ملقىً على الارض وبعض القطع . وكان مذبح المحرقات في وسط هذ البهو وعلى جانبيهِ حوضان طويلان للماء . والمظنون ان هذا البهو كان بداية هيكل لجميع الالهة وكان فيهِ ٣٦٠ صنماً على عدد ايام السنة

وقد بنى الملك تيودوسيوس كنيسة في وسط هذا البهو من انقاض الهيكل الكبير لان الملك قسطنطين كان قد هدم جانباً كبيراً منهُ والتي انقاضهُ في البهو وترى رسم الكنيسة في الشكل الثاني

﴿ هيكل جوبيتر (المشتري) حيث الحرف و ﴾ وهو قائم على دكة تعلو عن ارض المدينة عشرين متراً وعن ارض البهو القدي امامهُ ثمانية امتار . طولهُ ٨٧ متراً ونصف متر وعرضهُ ٤٧ متراً ونصف متر وكان يحيط بهِ اربعة وخمسون عموداً ارتفاع كلٍّ منها عشرون متراً وقطرهُ متران و ٢٣ سنتمتراً وداخل العشرة الاعمدة الامامية صف آخر من الاعمدة كما ترى في الشكل الاول ولم يبقَ قائماً من اعمدة هذا الهيكل الا ستة تراها مصورة في الشكل الثالث وقد كانت تسعة قبل زلزلة سنة ١٧٥٩

ويحيط بهذا الهيكل من جهاتهِ الثلاث رصيف ضخم الحجارة طول بعض حجارتهِ عشرون متراً حيث الحرف ز والظاهر انهُ لم يتم لان حجر الجبل الباقي في مقلعهِ الى الآن كان معدًّا لهُ . ويراد بهذا الرصيف ان يكون دكة حول الهيكل وسوراً لهُ

﴿ الهيكل الصغير او هيكل باخوس حيث الحرف ح ﴾ وهو مبنيٌّ على دكة طولها ٦٨ متراً وعرضها ٣٤ متراً وارتفاعها نحو خمسة امتار وكان يحيط بهِ خمسون عموداً وكلها من الشق

الكورنثي كسائر اعمدة الهيكل وعلو العمود منها عدا قاعدته ١٨ متراً و ٢٠ سنتيتراً وما بين الاعمدة والهيكل سقوف بحجارة كبيرة منقوشة ابدع نقش. وقد بقي في الجهة الشمالية تسعة اعمدة من الخمسة عشر الاصلية ومن التي كانت في الجهة الغربية ثلاثة ومن الخمسة عشر التي كانت في الجهة الجنوبية عمود واحد وهو مستند الى جدار الهيكل كانهُ يشكو ما فعلت بهِ يد الدهر بل يد الحمق الذين كسروا هذه الاعمدة البديعة لينزعوا قطعاً من الحديد تصل بين اجزائها

وكان امام هذا الهيكل من الشرق درج كبير بثلاث مصاطب عرضهُ ٣٤ متراً يصعد منهُ الى فسحة امام الهيكل كان فيها صفان من الاعمدة المضلعة ويعدها عمودان في كل جهة

وطول الهيكل من الداخل ٣٥ متراً وعرضهُ ٢٠ متراً ونصف متر وفي جدرانهِ اعمدة بارزة مضلعة ذات تيجان كورنثية كما ترى في الشكل الرابع وبين كل عمودين موقفا صخين احدهما فوق الآخر وقد وضع الآن بين العمودين الاوسطين في الجهة الشمالية بلاطة عليها كتابة تذكاراً لامبراطور المانيا كما ترى في الشكل الرابع . وثلث الهيكل الغربي كان مقدساً تعلو ارضهُ اربعة امتار عن ارض سائر الهيكل يصعد اليها بدرج . وباب هذا الهيكل اجمل ما صنعهُ المتقدمون وابقوهُ للمتأخرين كما ترى في رسم قطعة منهُ في الشكل الخامس . وفي الجدار الى جانبيهِ درجان لولبيان يصعد بهما الى سطح الهيكل وكان الهيكل مسقوفاً سقفاً مسنماً على رفائد من الخشب

وتحت هذين الهيكلين والبهوين اقبية فسيحة مبنية بحجارة كبيرة ضخمة مزدانة سقوفها بالنقوش البديعة

وقد اظهر النقب آثار الكنيسة المسيحية التي بنيت في البهو الكبير كما ترى في الشكل الثاني ثم ظهر لها محراب اخر في الجهة الشرقية لم يوضع في الشكل . اما مباني العرب فاحسنها البرج المربع الذي امام الهيكل الصغير واكثرها من عهد صلاح الدين وما بعدهُ . وكان داخل القلعة قرية حقيرة البناء ازيلت الآن . وعلى مئة وخمسين متراً من القلعة هيكل للزهرة تراهُ صغيراً جداً في جنب هيكل المشتري وهيكل باخوس ولكنهُ لا يقل عنهما جمالاً وزخرفاً وهو مستدير يحيط بهِ ستة اعمدة على اطراف خمس اقواس كما ترى في رسمهِ في الشكل السادس طول كل عمود منها ثمانية امتار وهو قطعة واحدة من المرمر السماقي ولهُ تاج كورنثي بديع وقد بقي اربعة من هذه الاعمدة . وامام باب الهيكل درج بثلاث مصاطب ورواق على اربعة اعمدة . وكان الهيكل مسقوفاً بقبة من الحجارة ومن المحتمل ان تماثل

الزهرة كان منصرباً على دكة في وسطه يحوطها على مواقف في جدرانه تماثيل جواريها

ومن شاء زيادة التفصيل عن هذه المباني كلها قديمها وحديثها فعليه بكتاب تماثيل النسدي الوف المشار اليه. ولكن ليس السمع كالعيان ومهما كتب الكاتب وتفنن الواصف يفنى الزمان وفي هذه القلعة ما لم يوصف . هناك العظمة هناك المهارة هناك الجمال هناك دلائل التمدُّد والتقوى . نفوس تتطلع الى ما وراء العالم المنظور فتشعر بقوة مسلطة على شؤون الناس ومديرة لامور العالم فتترضاها بكل ما في طاقتها شكراً لاحسان او استجلاباً لرضاء . اين تلك النفوس الآن وكيف تحتم انها كانت على ضلال وغايتها تجيد القوة الخالقة واسترضاؤها معها وضعت لها من الاسماء . وكيف تستحلُّ اتلاف ما ابتدعتْ العقول وابدعته الانامل من الصور والنقوش وما بلغت اليه من المهارة والمقدرة في جر الاثقال ورفعها . تصوَّر حجراً ثقلهُ مئة وستون طناً يرفع في الجو ويوضع على رأس عمود قائم علوهُ عشرون متراً بضبط واحكام لا يفوقها ضبط واحكام ثم يتنقش نقشاً غائراً وبارزاً بتماثيل ثيران واسود واوراق وازهار وكلها غاية في الدقة والاتساق فيجلو رفع المهندسون تلك الحجارة واين جلس النقاشون لما نقشوها وما هو الدافع النفسي الذي دفع الكهان والعمال والحكام والقواد الى تشييد تلك الهياكل وزخرفتها وتذهيب اعمدتها . قد يكون الدافع لم طلب المعيشة او التزلف الى الملوك والعظماء ولكن الوالدة التي كانت تنذر النذر لوقاية ولدها القاهب الى القتال ثم توفي بنذرها حين يعود اليها سالماً لم يكن تفعل ذلك الاَّ عن تمدُّد صحيح وقس عليها اكثر المتعبدين والمتعبدات . وقد اوحت هذه التصورات الى اليراع فكتب الابيات التالية

يا هيكلاً روح التدين مثلتْ فيه المهابة والجلالة والولا
كم شاكرٍ نعما وفيتَ بشكره او خائفٍ نقما عليك توكلا
جهل الاولى جعلوك قلعة حربهم فتصدَّعت منك المرائر والكلى
حرب تهدِّم ما بناهُ تدينٌ وتدينٌ لحرب بني هيكلا
فعلى التدين والحروب بقيت للا — نسان اكبر شاهديه واعدلا

وان لم يكن في بلاد الشام غير قلعة بعلبك فهي وحدها جديرة بان تحمل كل احد على زيارة تلك البلاد لمشاهدتها فعسى ان لا تفوت رؤيتها احداً من قارئي هذه السطور

اما جامع دمشق المشهور بالجامع الاموي فسأوفي الكلام على تاريخه وما رأيتهُ فيه من بديع الصناعة المسقية في جزء تالٍ

معجم الحيوان

﴿ السُّنونو (العجمية) · الخُطَّاف · زوّار الهند · عُصفور الجنّة ﴾

Hirundo. E. Swallow. F. Hirondelle.

العوّار · العرّاق · العَمّامة · البلّك (فارسية) · الخُطّاف الجبلي

Cypselus. E. Swift. F. Martinet

طائر يشبه السنونو وليس بهِ طويل الجناحين قصير الرجلين اسود اللون تحت حنكهِ بياض · اذا وقع على الارض لم يقدر على الطيران ولا يبني عشهُ بالطين كالسنونو بل يصنع وكراً من الحشيش في طنوف البيوت والجبال ويسمى في بعض انحاء الشام بالخُطّف وفي غيرها بالصيّص وهي حكاية صوتهِ ويسمى « صيص » بالعبرانية ايضاً

وقد اطلق بعض مؤلفي العرب لفظة الخطّاف على هذين الطائرين لشدة المشابهة بينهما وهذا بعض ما جاء عن الخطّاف والسنونو في كتب اللغة وغيرها

« فالخطّاف » في لسان العرب « العصفور الاسود وهو الذي تدعوهُ العامة عصفور الجنة وجمعهُ خطاطيف »

وفي حياة الحيوان « السنونو نوعٌ من الخطاطيف ولذلك سمي حجر اليرقان حجر السنونو وقد اجاد جمال الدين ابن رواحة في تشبيه السنونو بقوله

وغريبة حنّت الى وكرٍ لها فاتت اليهِ في الزمان الطويلِ
فرشت جناح الابنوس وصفقت بالعاج ثم تفهقت بالصندلِ

« والخطاف بضم الخاء المعجمة[1] جمعهُ خطاطيف ويسمى زوّار الهند وهو من الطيور القواطع الى الناس لتقطع البلاد البعيدة اليهم رغبة في القرب منهم ثم انها تبني بيوتها في ابعد المواضع عن الوصول اليها وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة

« ويبني عشهُ بناء عجيباً وذلك انهُ يبلُّ الطين مع التبن فاذا لم يجد طيناً مبلولاً القى نفسهُ في الماء ثم يتمرّغ في التراب حتى يتلبّد جناحاهُ ويصير شبيهاً بالطين . . . . والخطاطيف انواع منها نوع يألف سواحل البحر (Cotile or sand martin) يحفر بيتهُ هناك ويعشش فيهِ وهو صغير الجثة دون عصفور الجنة ولونهُ رمادي والناس يسمونهُ سنونو ومنها نوع اخضر على ظهرهِ بعض حمرة أصغر من الذرّة يسميهِ اهل مصر الخضيري[2] لخضرتهِ

(١) الخطاف بتمام الخاء هو السمك الطيار Flying fish

(٢) لعلهُ يريد الخضير وهو الزرزار بلغة مصر ومنهُ أبو زكوٌ

يتنات الفراش والذباب ونحو ذلك ومنها نوع طويل الاجنحة رفيقها يألف الجبال ويأكل النحل (لعلها النحل) وهذا النوع يقال لهُ السمائم مفردهُ سمامة (Cypselus) ومنهم من يسمي هذا النوع السنونو الواحدة سونونة وهو كثير في المسجد الحرام يعشش في سقفهِ في باب ابرهيم وباب بني شيبة وبعض الناس يزعم ان ذلك هو الطير الابابيل »

« والسمام » في لسان العرب « ضرب من الطير نحو الخُمَّاف واحدتهُ سمامة وفي التهذيب ضرب من الطير دون القطا في الخلقة وقولهم كلفتني بيض السماسم فسَّرهُ فقال السماسم طير يشبه الخُطَّاف ولم يذكر لها واحداً »

« والعَوْهق الغراب الاسود وقيل هو الاسود من كل شيء وقيل هو الخطاف الاسود الجبلي وقيل هو الطائر الذي يسمى الاخيل » وفي المخصص العوهق الخطاف الجبلي الاسود »

« والعُوَّار » في لسان العرب « ضرب من الخطاطيف اسود طويل الجناحين وعمَّ الجوهري وقال العُوَّار الخطَّاف » وفي المخصص « العُوَّار كالعوهق الاَّ انهُ طويل الجناحين » - واظنهُ ما يسميهِ الانكليز Alpine swift

﴿ القاوند . الماذُور (يوتانيتان) ﴾ Alcedo. E. Kingfisher F. Martin-pêcheur طائر صغير يألف المياه جميل المنظر جدًّا . طويل المنقار قصير الرجلين والذنب اخضر الجناحين ازرق الظهر احمر الصدر وتحت حنكهِ بياض وعلى رأسهِ قنزعة . ويعرف في مصر بصياد السمك وابي الرقص (١) لانهُ يعلو ويسفل فوق الماء كانهُ يرقص وفي فلسطين بخيّط الماء اي خاتلهِ كانهُ يخيط الماء لما ينقضّ على سمكة ويخطفها وفي سواحل بيروت بديك البحر

وفي اساطير الاولين حكايات كثيرة عن هذا الطائر فقد زعم قدماء اليونان والرومان ان ألقيون او هلقيون ابنة ايولُس اله الريح تزوجها قيكس ابن كوكب الصبح ثم غرق في البحر فحزنت عليهِ حزنًا شديداً وجلست على الشاطيء تندبهُ فقذف البحر بجثتهِ امامها ولشدة حزنها القت نفسها في الماء فأنبت لها الآلهة جناحين فتحولت الى هذا الطائر وكان والدها ايولس يحبس الرياح في زمن التفريخ فيسكن البحر (٢) لذلك سماها اليونان Alkuone من Ale او Hals ومعناهُ البحر و Kuon اي الحامل او الوالدة او المفرخة ومنها Alcyon و Halcyon باللاتينية وغيرها من اللغات الاوربية

(١) برغن (٢) نوسترام (٣) زعموا ان ايولس هذا كان يحبس الرياح في كهوف بعض الجزر في البحر المتوسط وبطلقها متى شاء

وقال سقراط في وصف هذا الطائر ما تعريبهُ : « ليس القاوند من الطيور الكبيرة لكن الآلهة منحتهُ شرفاً عظيماً لشدة محبتهِ فاذا بنى عشهُ هدأ الكون اياماً تسمى ايام القاوند (Halcyonides) » . وقال ارسطو « من عادة الطيور ان تبيض وتفرخ في الربيع والصيف لكن القاوند يفرخ في زمن الانقلاب الشتوي لذلك تسمى هذه الايام التي يسكن فيها الريح بايام القاوند سبعة منها قبل الانقلاب وسبعة بعدهُ . . . » ويقال ان هذا الطائر يبني عشهُ في سبعة ايام ويحضن بيضهُ وفراخهُ في سبعة » . وقال بلينيوس « يبيض القاوند في الشتاء والايام في اقصر ما تكون ويسمى هذا الزمن بايام القاوند لان البحر يكون هادئاً لاسيما في جوار صقلية [1] » .

وقد نقل العرب هذه الاساطير عن اليونان والرومان . قال القزويني « في هذا البحر (اي بحر فارس) طائر يقال لهُ فنون وهو مكرم لابويهِ وذلك ان هذا الطائر اذا كبر وعجز عن القيام بامر نفسهِ اجتمع فرخان من فراخهِ يحملانهِ على ظهرهما الى مكان وبنيان لهُ عالٍ وطيءٍ ويتعهدانهِ بالماء والعلف ذكروا ان الله تعالى اكرم هذا الطائر بان يخفر لهُ البحر فانهُ اذا باض سكن البحر اربع عشرة ليلة حتى تخرج فراخهُ في هذه المدة اليسيرة والبحريون يتبركون بهِ فاذا كان اول سكون البحر علموا ان هذا الطائر قد باض » . وللاب انستاس الكرملي تعليل لطيف في لفظة فنون هذه قال انها خطأ في النسخ واصلها القيون فحذف الكاتب الالف واللام ظناً انهما ال التعريف فصارت قيون وحرفت خطأً فصارت فنون وهو تعليل حسن

وقال البسيري « القاوند طائر يتخذ وكرهُ على ساحل البحر ويحضن بيضهُ سبعة ايام في الرمل ويخرج فراخهُ في اليوم السابع ثم يزقها سبعة ايام ايضاً والمسافرون في البحر يتيمنون بهذه الايام ويوقنون بطيب الوقت وحلول اوان الصيف وقيل ان الله تعالى انما يسكن البحر عن هيجانهِ في زمن الشتاء عن بيض هذا الطائر وفراخهِ لبرهِ بابويهِ عند كبرهما وذلك انهما اذا كبرا حمل اليهما قوتهما وعالما حياتهما الى ان يموتا » .

---

(1) يقع الانقلاب الشتوي في الثاني والعشرين من دسمبر (كانون الثاني) فتكون ايام الصفاء في النصف الاخير منهُ وبضعها في اليوم ايام البشارة لوقوع عيد التبشير بواكرة في ذلك الوقت . ومن غريب الاتفاق ان زلزلة مسينا وهي في صقلية وقعت في اواخر ايام الصفا التي يقول بلينيوس انها تكون على اتمها في جوار صقلية

Kingfisher
القاوند او المازر

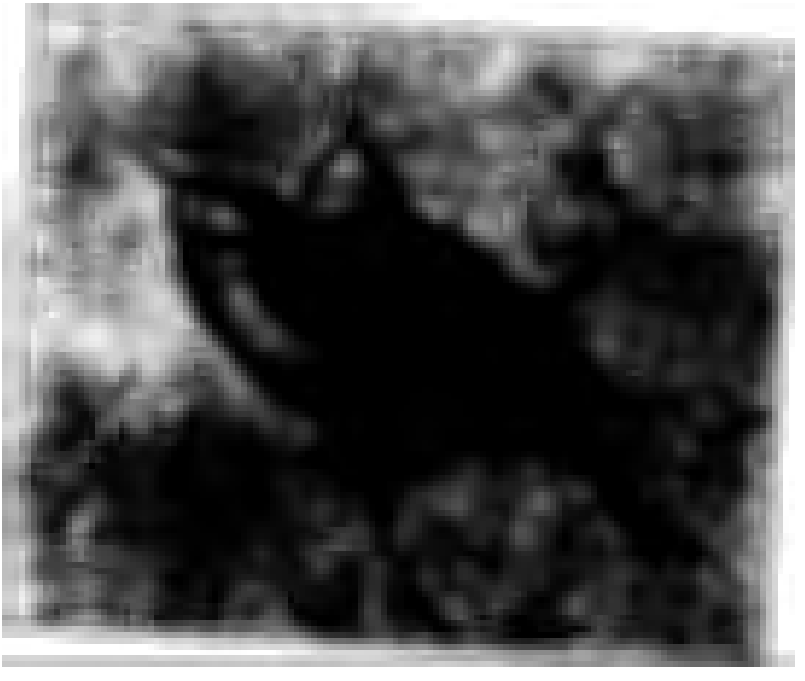

Bee-eater
القارية او الزوار

وجاء في القزويني والدميري عن المازور ما نصهُ « المازور طائر مبارك يحمد المغرب بتيامن به اصحاب السفن يبيض عند سكون البحر على السواحل فاذا رأوا بيضهُ عرفوا ان البحر قد سكن وهذا الطائر اذا كانت السفن قريبة من مكان مخوف او دابة مضرة يأتي فيطير امام المركب فيصعد وينزل كأنهُ يخبرهم بالخوف حتى يشيروا امرهم والملاحون يعرفونهُ » وقال الاب انستاس ان لفظة المازور هذه مشتقة من Meteoros باليونانية ومعناها المرفرف

والقاوند باليونانية القيون او هلتيون وهو في الاصل اسم لابنة ايولس التي مر ذكرها ثم اطلقت اللفظة بعد ذلك على هذا الطائر ومنها اشتقت لفظة القاوند بالعربية و Alcyon و Haelyon و Alcedo باللاتينية وغيرها من اللغات الاوربية . وايام القاوند تسميها الانكليز Halcyon days والعبارة كثيرة الاستعمال عندهم ومعناها ايام الصفا او الغبطة او السرور . والالف واللام في القاوند ليست للتعريف في الاصل لكنها جرت مجرى ال التعريف لاستثقال قولهم الاقاوند كما يقول بعضهم الماس عوضاً عن الالماس معرب آذماس

والقاوند اجناس كثيرة اشهرها هذا الذي مر وصفهُ ويسمى Alcedo ispida عند علماء الحيوان ومن انواعهِ ايضاً القاوند الازميري Halcyon smyrensis والقرلّى الآتي ذكرهُ

القرلّى (يونانية) . الزفزاف . ملاعب ظلهِ . خاطف ظلهِ

Ceryle rudis. E. Pied kingfisher. F. Ceryle pie

نوع من القاوند اسود المنقار والرجلين ابيض الصدر منقط الظهر والذنب بنقط سود وبيض وهو كثير في الشام ومصر والسودان يرى واقفاً على جرف نهر او مرفرفاً فوق الماء فاذا رأى سمكة انقض عليها واختطفها

وفي لسان العرب « القرلّى طائر وفي الامثال احزم من قرلّى واخطف من قرلّى واحذر من قرلّى قال ابن برى القرلّى طائر صغير من طيور الماء يصيد السمك وقيل ان قرلّى طير من بنات الماء صغير الجرم سريع النهوض حديد الاختطاف لا يرى الا مرفرفاً على وجه الماء على جانب يهوي باحدى عينيهِ الى قعر الماء طمعاً ويرفع الاخرى في الهواء حذراً وانشد ابن برى

يا من جفاني وملاً نيت اهلاً وسهلاً
ومات مرحب لمّا رأيت مالي قلاً
اني اظنك تحكي بما فعلت القرلّى

« وروي في امتاع ابنة الحسن كن حذراً كالقرلّى ان رأى خيراً تدلّى وان رأى شراً

تولّى . قال الازهري ما ارى قرلّى عربيًّا قال ابن برى ويروى كن بصيراً كالقرلّى يقال انهُ اذا ابصر سمكة في قعر البحر انقض عليها كالسهم وان رأى في السماء جارحاً مرّ في الارض»

وفي حياة الحيوان «القرلّى بضم القاف وكسرها وفتحها ملاعب ظلهِ قال الجواليقي هو فارسي معرّب » . ثم وصفهُ بما لا يخرج عن وصفهِ في لسان العرب . وفي حياة الحيوان ايضاً «ملاعب ظلهِ القرلى وربما قيل لهُ خاطف ظلهِ قال ابن سلة هو طائر يقال لهُ الزقراف اذا رأى ظلّهُ في الماء اقبل اليهِ ليخطفهُ . وخاطف ظلهِ طائر من جنس العصافير قال ابن سلة هو طائر يقال لهُ الزقراف اذا رأى ظلهُ في الماء اقبل عليهِ ليخطفهُ وهذه صفة ملاعب ظلهِ»

وفي المعرّب للجواليقي «القرلّى الطائر الذي يصطاد السمك اعجمي معرّب»

وفي حيوان فلسطين للقاتون ترسترام في وصف الطائر المسمى Ceryle rudis ما تعريبهُ «ومن ابهج المناظر رؤية فرقة من هذه الطيور ترفرف فوق الماء ثم تهوي اليهِ حيناً بعد آخر وتعود الى مكانها في الهواء »

وفي طيور مصر لشلي «يرى القرلى Ceryle rudis واقفاً على الجرف او غروق الاشجار او مرفرفاً فوق الماء فاذا رأى سمكة انقض عليها وخطفها »

فوصف القرلّى في كتب اللغة ينطبق تماماً على الطائر المسمى Ceryle rudis وهو كثير في مصر والشام ويعرف فيهما بصياد السمك والاسم العربي مشتق من Kerulos باليونانية وهو اسم هذا الطائر ومن اليونانية اشتقت لفظة Ceryle باللاتينية وغيرها من اللغات الاوربية . ولم يقل الجواليقي ان القرلّى فارسي كما ذكر الدميري بل قال انهُ اعجمي اي ليس بعربي . ولم يذكرهُ السيداوي شيء بين الالفاظ الفارسية المعرّبة ولا وجدتهُ في معجم ڤولرس الفارسي . وزعم بعضهم ان القرلى هو الطائر المسمى Courlis بالفرنسوية و Curlew بالانكليزية وهو الكروان بالعربية لكن وصف الواحد لا ينطبق على وصف الآخر مطلقاً ولا شبه بينهما الاّ في اللفظ . والقرلّى انواع كثيرة اشهرها هذا الذي ذكر

﴿ القارية . الخُضَيراء . الوَرْوَار ﴾ Merops. E. Bee-eater. F. Guêpier.

طائرٌ قصير الرجلين طويل المنقار اسودهُ في قمة رأسهِ حمرة وتحت عنقهِ طوقٌ الى الصفرة وسائرهُ اخضر ضارب الى الزرقة وفي وسط ذنبهِ ريشتان طويلتان . وهو انواعٌ كثيرة اشهرها هذا الذي مر وصفهُ ويعرف في الشام بالورور وهو حكاية صوتهِ . وفي العراق بالخضيري [1] وفي مصر بالخُضَيّر [2] سمي بهما للونهِ

(١) عن سليمان افندي الشماني وقال لي انهُ سمع النسطة هناك (٢) عن فورسكال وهو لحن وسمعتها في مصر

« والقارية » في محيط المحيط « طائر قصير الرجلين طويل المنقار اخضر الظهر تحبهُ الاعراب وتتيمن بهِ واذا رأوهُ استبشروا بالمطر كانهُ رسول الغيث او مقدمة السحاب . ويشبهون بهِ الرجل السخي »

وفي حياة الحيوان « القارية كقارية هذا الطائر القصير الرجلين الطويل المنقار الاخضر الظهر تحبهُ العرب وتتيمن بهِ . . . » قال ابن سيده القارية طير خضر تحبها الاعراب ويشبهون الرجل السخي بها وذلك انها تنذر بالمطر وقال بعضهم ومن ذلك قول النبي صلى الله عليهِ وسلم الناس قواري الله في الارض اي شهودهُ لان بعضهم يتبع احوال بعض فاذا شهدوا لانسان بخير او شر فقد وجب »

وفي المخصص « القواري واحدتها قارية وهي الخضيراء التي تدخل جحرة الجرذان ويسمون القارية السوداء الضجرة وهي عرماء والعرم بياض بطنها قال ابو عبيد هي طير خضر تحبها الاعراب يشبهون الرجل السخي بها وذلك مرة هرضا طائر القصير الرجل الطويل المنقار الاخضر الظهر وهي الخضاري » . « والخضاري » في لسان العرب « طير خضر يقال لها القارية زعم ابو عبيد ان العرب تحبها . . . والخضّار طائر معروف والخضاري طائر يسمى الاصيل وهو اخضر في حنكهِ حمرة وهو اعظم من القطا »

« والوَرْوَار » في محيط المحيط « طائر طويل المنقار لهُ تحت عنقهِ طوق الى الصفرة اذا لمستهُ شعرت بمرارة . سمي بصوتهِ . الواحدة وروارة » . ولم اجد الوروار في غير محيط المحيط من كتب اللغة وقد ذكرهُ الشزوري في كتاب آثار البلاد بين الطيور التي في جزيرة تنيس

ومحصّل ما ذكر ان القارية هي الوروار وكذلك الخضيراء والخُضّار والخُضاري سميت بذلك للونها لكنهم اطلقوا الخضاري على غيرها من الطيور الخضر ايضاً كالاخيل وهو الشقراق . وقالوا انها تنذر بالمطر لانها من الطيور القواطع تصيف في الشمال وتشتو في بلاد العرب وافريقية . وقال ابن سيده انها تدخل جحرة الجرذان لانها تبيض في ثقب من الارض . ثم قولهم في تفسير الحديث الذي ذكر ان بعضها يتبع احوال بعض ينطبق على القول المشهور في الشام وهو ان الوروار يتبع بعضهُ البعض . ووصف القارية والخضيراء ينطبق تمام الانطباق على الوروار وقد ذكرها ابن سيده في باب النحل بين الآفات التي تصيبهُ لانهُ يأكلهُ اكلاً ذريعاً ولذلك يسميهِ الانكليز Bee-eater وتفسيرهُ آكل النحل

امين المعلوف

فلسفة النشوء والارتقاء

[الدكتور شبلي شميل اعرف من ان يعرَّف . قرأ كتاباته ابناء العربية في القطرين المصري والسوري وفي كل الاقطار التي وصل اليها السوريون وهي تتناول كل المواضيع الطبيَّة والاجتماعية والعملية والفلسفية . واسلوبهُ فيها اسلوب عالم حرّ يبحث عن الحقائق في كتب الثقات من العلماء والفلاسفة ويوازنها ويمحصها الى ان يقتنع بصحتها فيذكر خلاصتها ويبني عليها احكاماً صائبة . وقد وفق الى اتقان العربية والفرنسوية فسهل عليهِ ادراك ما يكتبهُ علماء اوربا والتعبير عنهُ بالعربية الفصحى . وهو من ابلغ كتابنا ومن البارعين في الانشاء بالفرنسوية ايضاً . وقد عانى التأليف منذ نحو اربعين سنة الى الآن وتنثات قلمهِ منشورة في كتبهِ التي الفها او ترجمها وفي المجلات والجرائد ولاسيما الشفاء والمقتطف . وقد اقترح عليهِ جمهور كبير من مريديهِ ان يجمع كل ما كتبهُ الى الآن في كتاب واحد ولاسيما ما كان منهُ منشوراً في الصحف اليومية التي قلما تحفظ حرصاً على ما فيهِ من الفوائد فلبى طلبهم . وسيكون هذا الكتاب في مجلدين كبيرين او اكثر . وقد اطلعنا الآن على المقدمة الفلسفية التي انشأها لتنشر في صدر شرح يختبر فرأينا ان نثبت هنا خاتمتها بالحرف الذي طبعت بهِ للدلالة على شكل الكتاب وكيفية بحث الدكتور شميل فيهِ . وسيكون هذا الكتاب خزانة فوائد علمية وادبية وفلسفية واجتماعية لا تستغني عنهُ مكتبة من مكاتب ابناء العربية . وهاك ما ننقلهُ من المقدمة وهو عن وحدة القوى الطبيعية ووحدة كل ما في الطبيعة]

***

والتوحيد في الطبيعة ينحو بنا نحواً آخر لا تقدَّر الغاية التي قد يبلغ اليها ولا يجوز الجزم بالوقوف فيها عند حدّ . ولقد بدا لنا اليوم كثير من هذه الاسرار التي لم يحلم آباؤنا بها والتي لو رأوها لعدوها من الخوارق . وذلك بناء على ناموس التحوُّل الذي لا يقتصر على الاحياء فقط بل يشمل الطبيعة كلها . حتى لم يعد يجوز الاعتقاد بشيء ثابت فيها لا العناصر ولا الجواهر الفردة نفسها . وحتى صارت اشعة رتجن وخصائص الراديوم غير خاصة بنوع من مظاهر المادة بل هي عامة على اصناف المادَّة كلها اذا توفرت لها الشرائط التي تبدو فيها هذه الخواص وسواها مما لا نعلمهُ حتى الآن . ولقد نظر بعضهم الى هذه الخصائص كأنها قوى جديدة غير القوى المعروفة . ولا يصحُّ

ذلك الاَّ اذا صحَّ اعتبار القوى المعروفة كالحرارة والنور والكهربائية قوى ممتازة منفصلة بعضها عن بعض لا في الظهر بل في الجوهر أيضاً. ولكننا اذا اعتبرناها قوى متحوِّلة وعرفنا ان في الامكان ردَّها بعضها الى بعض فمثل هذا الفصل في القوى الاخرى كأشعة رنتجن واشعة الراديوم والاشعة الكهاوية وسواها مما هو معروف وما لم يعرف حتى الآن لا يجوز. ولا يجوز اعتبار هذه القوى الجديدة الاَّ من قبيل تحوُّل المادة وقواها كما في تلك. كما انهُ لا يجوز بناء على ناموس تلازم المادَّة والقوَّة اعتبار هذين المظهرين اي المادة والقوَّة شيئين ممتازين في الجوهر يثبتان ناموس الثنية في الطبيعة. ولقد اشرت الى هذه الوحدة واطلاق مذهب التحوُّل على الطبيعة الصامتة نفسها في مقالة نشرتها في جريدة البصير في اول عهد صدورها منذ نحو اربع عشرة سنة حيث قلت في ردّ القوى كلها الى الحركة والمادَّة الى الهيولى بعد ان اشرت الى تلازمهما ما نصهُ « والهيولى فرضٌ لبسط المادَّة والحركة بحقيقته ثابتة فالحركة اصل الكل » اه

***

وهذه النظريَّة الاستقرائيَّة قد خطا العلم فيها من ذلك العهد الى اليوم خطوةً جعلتها من المسائل العلمية البحتة لا من المسائل الاستقرائية الفلسفية فقط. كما نقل مذهب النشوء والارتقاء القول بتحول الاحياء من مدار النظر للادراك وجفروى سنتيلير الى مدار التحقيق العلمي لداروين

واتجه نظر العلماء الى هذه المسألة على اسلوب اقرب الى العلم منهُ الى الفلسفة في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن وقد ذهب غوستاف لبون في مؤلف لهُ سماهُ « نشوء المادة » الى نفي ثبوت الجوهر الفرد ثبوتاً مطلقاً اذ اعتبرهُ مخزناً لقوى هائلة او هو متجمد قوى وانطلاقها تبديد لماديَّته. وذهب الى ان المادَّة بناء على ذلك تتلاشى خلافاً للمقرَّر في العلم من ان المادة لا تتلاشى. والحقيقة انها تتلاشى في القوة التي تتحول اليها

وهذا القول خطير اليوم. وهو في مبدئهِ ليس بدعة في العلم اذ يطلق مذهب النشوء في الاحياء على الطبيعة كلها وعلى المادة نفسها اذ يجعلها كالاحياء تنشأ وتنمو وتموت

مثلها . وبنفي الفصل بين المواد القابلة الوزن والمواد غير القابلة الوزن اذ يجعلها تنشأ كلها من مبدإ واحد هو الاثير الفرضي المسلَّم به في العلم اليوم تسليماً مطلقاً (١) ولكن ذلك لا يجعل قولهُ في تلاشي المادة وخلق القوى صحيحاً . وان كان قولهُ في نشوء الجوهر الفرد واعتباره مخزن قوى متجمدة وتلاشي المادة في قواها تلاشياً بالتحول ذا نتائج لا تقدَّر فائدتها في العلم اليوم بتوجيه النظر الى مثل هذا البحث الخطير . وسواء نشأ الجوهر الفرد من الاثير او تلاشى وتلاشت المادة معهُ في هذا الاثير نفسهِ فالاثير نفسهُ باقٍ لم يتلاشَ ويكون الجوهر الفرد حينئذٍ للمادَّة كالكرية الحيَّة للاحياء ويكون الاثير نفسهُ حينئذٍ للجوهر الفرد كالبزوتوبلاسما للكريات الحية . وسواء سمَّينا جوهر الكون الاصلي اثيرًا او هيولى والقوى المتحولة عنهُ قوة او حركة فالمعنى واحد وما هو الاَّ اختلاف الفاظ فقط والمهمُّ تحوُّل هذا الجوهر وانحصارهُ في واحد هو القوة او الحركة التي هي حقيقة ثابتة في العلم بخلاف الاثير او الهيولى التي هي فرض لجلاء الكلام وتقريبهِ الى الفهم . واولى بهذه القوة ان تكون حركةً وحركة على نفسها ليستطيع الجوهر الفرد ان يكون مخزنًا لها وهي بتلك القوة الماثلة المعروفة لنا والتي ينتظر

(١) اكثر الظواهر الطبيعية كالنور والحرارة والكهربائية الاشعاعية الخ يعتبر مقرُّها في الاثير . والمجاذبية التي يتوقف عليها انتظام الكون وسير الكواكب يظهر انها مظهر من مظاهره . وكل الابحاث النظرية لمعرفة تكوين الجواهر الفردة مبنية على التسليم بان الاثير مصدرها . وهو ان كان فرضاً مزعوماً الاَّ ان القول به يظهر للبعض انهُ اثبت من القول بالمادة نفسها . وكان الاضطرار اليهِ شديداً لما ارادوا تعليل انتشار النور . ثم اعتبر كأنهُ ثابت بالامتحان لما اثبت (فرزنل) ان النور يعتبر بموجات شبيهة بالموجات التي تحدث عند سقوط حجر في الماء . وأكد ذلك بمقاومتهِ لموجات النور واعادة الظلمة بتسليط مقعر موجة نور على محدب موجة اخرى . ولما كان انتشار النور يحدث بالموجات كان لا بد لهذه الموجات من شيء تموج فيهِ فاطلقوا على هذا الشيء اسم الاثير

وقد زادت اهمية الاثير جدًّا لما تقدمت العلوم الطبيعية فصار تعليل اكثر الظواهر بدونهِ . فلولاه لما كان الثقل ولا النور . ولا الكهربائية ولا الحرارة ولا شيء مما نعرفهُ . ولكان العالم صامتاً مبتاً او كان بحالة لا يمكننا ان نتصورها . ولو امكن بناء غرفة من زجاج ونزع الاثير منها بالكلية لما امكن للحرارة والنور ان ينفذا اليها وليبست في ظلمة دامسة . والراجح ان المجاذبية لغير معلومة على الاشياء التي ضمنها فلا يبقى لها سبب وزن او ثقل اه . (من كتاب تحوُّل المادة لجوستاف لبون)

من العلم ان يعرف عنها اشياء اعظم جدًّا ايضاً [1]

وليس في هذا القول شيء من المبالغة . خذ مثلاً الكهربائية التي ليست الاَّ مظهرًا من مظاهر تلك القوة العامة المنتشرة في الكون والمكونة لهُ . فلقد كانت معلوماتنا بها في اول الامر ليست اكثر من معلوماتنا بخصائص الراديوم المعلومة لنا اليوم والمعترف اليوم انها موجودة في جميع المواد قاطبة . فاين معلوماتنا الكهربائية منذ نصف قرن من معلوماتنا بها الآن . اذكر اني القيت في سنة ١٨٧٠ خطاباً في الكهربائية وكأني اشرت فيهِ الى ما يتوقع منها اذ ختمتهُ بهذين البيتين :

لقد نظر الانسان في البرق معجزًا فأخضعهُ لما اجال بهِ طرفا
فذا المارد المحكيُّ عنهُ بما مضى وهذا بساط الريح والقبع الاخفى

وما قلتُ توفي هذا عن تخيل شاعر بل عن توقع شاعر . وكم ارتقت الكهربائية من ذلك العهد الى اليوم [2] ومن يدري ماذا يكون مستقبل القوى الجديدة التي هلا

(١) صور المادة ليست سوى التوازن في الاثير والقوى المعروفة ليس ظهورها لنا الا فقد هذا التوازن فكأن الاثير عبارة عن القوة المحركة والمادة عبارة عن توازن في هذه القوة بعض الشيء . وهذا يفهم منهُ كيف يكون تحول المادة اذا فقدت هذا التوازن بظهور القوى المعروفة كالنور والحرارة والكهربائية الخ التي هي تحولات عنها والتي توازنها يؤلف المادة الفاقدة بعض النور . ولا تثبت هذه القوى شيئاً يربطها المادة كأنها لم تتغير او تتغيرت تغيرًا غير محسوس مع انطلاق قوى عظيمة مما عندنا عروض اقل شيء ينقدها توازنها النسبي الاَّ اذا تجمعت هذه القوى تجمعاً عظيماً في القوة الام الصادرة عنها ولا تتجمع القوة الام هذا التجمع الهائل الاَّ اذا كانت حركة وحركتها لولبية على نفسها ولذلك كان هذا التوازن الثبت في الجواهر الفردة المعربنة في القدم وكانت الجواهر الفردة نفسها على صغرها شيئاً عظيماً قوى لا تحد وهذا اقوى برهان على كون الجواهر الفردة عبارة عن زوابع او حركات لولبية في الاثير نفسهِ . والفائدة الاولى المتحصلة من ذلك هو عظم المنافع التي تأتي لنا من معرفة طرق استخراج هذه القوى من مكامنها واستخدامها لمصالحنا والتمكن بها من التغلب على ما يبدو لنا من الصعوبات المتعذرة امامها في سير المستقبل اليوم

(٢) لقد عظم جدًّا شأن الكهربائية في هذه السنين الاخيرة . فهي قاعدة كل المفاعلات الكيماوية التي تبدو لنا كل يوم اكثر فاكثر امامها تفاعلات كهربائية فهي اليوم تعتبر قوة عامة ترجع اليها مباشر القوى ومن المقرر ان النور هو احد مظاهرها . ومن الغريب العجيب ان مثل هذه القوة التي لها كل هذا الانتشار وكل هذه الاهمية بقيت مجهولة آلافاً من السنين . وهذا من اعظم الشواهد في تاريخ العلم على انهُ قد يمكن ان نكون محاطين بقوى عظيمة جدًّا من غير ان نشعر بها وهو كذلك من الادلة التي لا يستهان بها على ما في الجواهر الفردة من القوة الهائلة الكامنة ومن ارجحيتها ايضاً على تحول هذه الجواهر المادية بنفسها وتلاشيها في القوى المتحولة اليها

نعرف عنها الآن الاَّ القليل جدًّا مني عرفنا طرق ابرازها من مكامنها واستخدامها في مصالحنا مع علمنا الاكيد انها ليست الاَّ متحولات قوى كسائر القوى المعروفة. ولا يتأتى ذلك الاَّ من وراء البحث فيها باعتبارها انها قوى طبيعية خاضعة لناموس واحد عام لا قوى خارقة الطبيعة لا تقع تحت ضابط. لا من وراء اضاعة الوقت سدى بالتفسير والتأويل لاثبات اسرار التنزيل. ولو اكتفينا بذلك لما طار ريط ولا تكلم مركوني ولا ابدع اديصون واستولوا على السماء والهواء والارض

ولا استوى المرخص محدود ب قصفت يد المظالم منهُ الصلب ان قنا

ولا يستوي المرء الا اذا طمست يد العلم ما خطتهُ يد الجهل ولم يعد لهُ اثر في المدارس. بل صارت المدارس للفنون والصناعات والعلوم الصحيحة والطبيعية فقط. وفي مقدمتها مذهب التحوُّل الذي يوقفك على الصلة بين العوالم ويسهل عليك فهم تحوُّلاتها. ويمكنك من العلم بما تحويهِ من القوى الهائلة لاستخراجها من مكامنها. ويعرِّفك مقام الانسان الحقيقي في الطبيعة فيصرف المرء حينئذٍ كل جهدهِ للبحث في ما هو امامهُ ولا ينصرف عنهُ الى ما لا يجديهِ نفعاً ويحول دون ارتقائهِ في الحياة الدنيا. وبذلك يبين لك مزية فلسفة مذهب النشوء والارتقاء التي هي غرض هذا الكتاب على سائر المذاهب التي تقدَّمتهُ كما تراهُ مبسوطاً بالتفصيل في ما يأتي

شبلي شميل

مصر في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩

وقد كان يصعب طبعًا جدًّا توليد الكهربائية في اول الامر وكنا ننظر اليها كحادث نادر كذلك واما اليوم فنصرنا نجدها في كل شيء ونعلم ان اقل تصادم بين الاجسام الحيانة يولدها. والصور طبعًا اليوم ليس توليدها بل كيف نمنع توليدها في كل حادث يعرض. فسقوط نقطة ماء او تبخر جسم بحرارة الشمس او احتكاك يسلك بالثار وكل تفاعل آخر بغير طبيعة جسم ما هو ينبوع كهربائية. وهي موجودة في الهواء الجوي وقلما تكون قوتها فيه في حال الصحو تحت ١٥٠ فولطاً وتبلغ ١٠٠٠ عند حصول اقل ضباب و١٥٠٠ فولطاً عند سقوط اقل مطر وكما هي في التفاعلات الطبيعية هي ايضاً في تفاعلات الاجسام فما من تفاعل سببي في الانسجة الحية او التركيبات الحية الاَّ ويرافقها ظهور كهربائية (من كتاب تحوُّل المادة لفوستاف لبون)

مناجاة الارواح

(تابع ما قبلهُ)

رأى القراء في ما نشرناهُ في الجزء السابق من اعمال اسايا بلادينو ما هو في حد الغرابة. وهذه الاعمال إما انها وهمية او حقيقية . فاذا كانت وهمية فلا شأن لها لان الحالم والهاجس والهاذي والمستهوى يرون ما لا يُرى ويسمعون ما لا يُسمع ويلمسون ما لا يُلمَس اي يشعرون بمرئيات ومسموعات وملموسات ولا شيءَ امامهم منها . ولكن الاعمال التي عملتها اسايا او عُملت في مجلسها حقيقيةٌ لا وهمية لان الاشياء التي كانت تنقل من مكان الى آخر كانت تُرَى في المكان الذي نُقلت اليهِ بعد انتهاء الجلسة واضاءة الانوار . وحدث في جلسات أُخرى وصفناها في المقتطف منذ سنتين ان المائدة التي كانت في الجلسة تكسَّرت ورأى الجلوس كسرها بعد انتهاء الجلسة فلا محل اذاً للوهم

فكيف عُملت هذه الاعمال والجواب ان لذلك اربعة فروض . الفرض الاول ان اسايا نفسها عملتها بيديها او برجليها او بادوات متصلة بها . والثاني انها استحضرت روحاً من الارواح كما تدَّعي وكانت هذه الروح تعمل تلك الاعمال وهي متجسمة كما في اليد التي قبضت على ذراع احد الحضور او غير متجسمة كما في القوة التي كانت تحرك المائدة وتنقل الاشياء من مكان الى آخر غير منظورة . والثالث ان قوة كانت تخرج من اسايا وتعمل تلك الاعمال كما تخرج الكهربائية من البطريات . والرابع ان شخصاً آخر دخل الغرفة خلسةً وعمل تلك الاعمال

والفرض الاول وهو ان اسايا نفسها عملت تلك الاعمال منقوض لان الجلوس معها كانوا يمسكون يديها ورجليها . نعم انها في جلسات أُخرى احتالت وعملت اعمالاً خدعت بها بعض الجلوس معها او ارادت خداعهم ولكن الجلوس معها في هذه النوبة كانوا من ابرع الناس في كشف الحيل والاعمال التي تعمل بخفة اليد وقد أكَّدوا لكلهم انها لم تعمل شيئاً من هذا القبيل ولا حاولت ذلك الاَّ مرة واحدة . ولم يكن معها ولا حولها ادوات يمكنها ان تحرِّكها خلسةً فانتفى الفرض الاول من هذه الجلسات ولو لم ينتفِ من جلسات أُخرى في اماكن أُخرى

والفرض الثاني انها استحضرت روحاً من الارواح او ان روحاً من الارواح حضرت من نفسها وهي التي عملت تلك الاعمال متجسمة او غير متجسمة . وهذا ما تدَّعيهِ اسايا ولكنهُ

مخالف لاختبار الناس بنوع عام لا تؤيده الا اخبار قليلة غير موثوق بها . ولا نقول انهُ محال لذاته ويمكن مخالفته للمألوف . وقلة الادلة على اثباته وعدم الاضطرار الى فرضه اذا امكن فرض اسباب أخرى غيره . وكون اعمال هذه الروح مخيفة صبيانية في الغالب بعيدة عما ينتظر عملهُ من الارواح ونحن في اشد الحاجة الى مكاشفتنا بامور جليلة . وادعاء كثيرين انهم استحضروا ارواحاً مثل حلم وعملوا الاعمال الغريبة بواسطتها ثم اعترافهم بانهم كانوا كاذبين في ادعائهم محتالين في اعمالهم . كل هذه الامور تحمل على الترجيح ان هذا الفرض غير صحيح وانهُ لم يكن هناك روح متجسمة ولا غير متجسمة

والفرض الثالث ان قوة تولدت من اساليا وعملت تلك الاعمال ولو على غير معرفتها كما تتولد الكهربائية من المعادن والحوامض في البطريات الكهربائية . وهذا الفرض وجيه وفيهِ يبحث الآن جمهور من العلماء وبهِ يعللون كل الخوارق مثل مناجاة الارواح وانتقال الافكار والاستهواء وما اشبه . ويقولون ان هذهِ القوة تظهر في بعض الناس ولا تظهر في غيرهم لاسباب نجهلها الآن ومن المحتمل اننا نصير نعلمها ونستطيع اظهارها في الجميع . والذين تظهر فيهم يستطيعون حصرها في زاوية غرفة او نحوها فتفعل طوع ارادتهم او على ضد ارادتهم . وهي كامنة في كل انسان كما ان الكهربائية كامنة في كل ذرة من ذرات المادة ومتى عرفنا كيف نظهرها ونستعملها استطعنا عمل امور كثيرة بواسطتها كما نستطيع عمل امور كثيرة بالكهربائية

وقد الف المسيو اميل بيراك مدير كلية ديجون كتاباً جديداً في هذا الموضوع رجح فيهِ وجود هذهِ القوة وقال انهُ انتبه وعمرهُ اربعون سنة الى انهُ يستطيع ان يجذب الناس اليهِ بمجرد الاشارة اليهم بيديهِ ونوم مرة رجلاً جالساً في قهوة ولم يكن الرجل عارفاً بوجودهِ . ونقل افكارهُ من مكان الى آخر . وهو لا يعلم كيف وجدت هذه القوة فيهِ ولكنهُ رأى بالامتحان انها تقوى فيهِ وهو في حال الصحة والنشاط وتضعف وهو في حال المرض والضعف وقال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

كنت مرة في جنوبي فرنسا مع بعض الشبان ودار الحديث على الاستهواء فطلبوا مني ان اجرب التنويم فيهم بتجربتهُ حسب طريقة الدكتور موتن وهي وضع راحة اليد تجاه لوح الكشف ومحاولة جذب الشخص الى الوراء بها فلم يتم احد منهم . واقترب مني حينئذٍ رجل عمرهُ نحو ستين سنة وسألنا عما نحن فاعلون فلما اخبرناهُ قال «كنت سخافة وقلة عقل» فطلب مني الشبان أن اجرب ذلك فيهِ فرضي ولم أكن اظن انني انجح في تنويمهِ ولكنني نجحت على غير

ما كنت انتظر والجلب الرجل اليّ حتى كاد يفقد موازنته ويقع على الارض وقال اني كنت اجذبه بشبابه مع اني لم امسّه قط . ثم استهويته وصرت آمره ان يفعل كما اشاء واشلّ عضلاته او اقبضها حسب رغبتي فارتعب جدًّا ولم يصدق ان تتخلّص من تلك الحالة حتى ركض من امامي هاربًا . ورأيتني في اليوم التالي عن بعد فلما وقعت عينه عليّ لجأ الى الفرار . وعدت الى بلدي بعد شهر من الزمان ورأيته بين جماعة من اصدقائه وذكرت ما فعلته فطلب الحضور مني ان امتحن ذلك ايضًا فيه فابى وما زالوا يتوسلون اليه حتى سأم مكرهًا ولكنني لم استطع ان أؤثر فيه هذه المرة وكنت قد أصبت في اليوم السابق بدوسنطاريا اضعفت قواي ولكن هذا السبب لم يخطر ببالي حينئذٍ . وبعد سنة من الزمان عدت الى ذلك البلد وكنت على تمام الصحة وامتحنت قوتي في هذا الرجل فتأثر بجدّ كما تأثر في المرة الاولى

فاذا ثبت ان قوًى مثل هذه تظهر في بعض الناس فهي حرية بان يبحث العلماء فيها بحثًا علميًّا مدققًا كما بحثوا في الكهربائية وخواص الاجسام الطبيعية . الاّ ان ذلك لا يثبت ان اسايا تعمل اعمالها بقوة مثل هذه اذا امكننا ان نعلل اعمالها بالعقول واحد خلصّ الى الغرفة التي تعمل اعمالها فيها وهو الفرض الرابع المذكور آنفًا وقبل الافاضة فيه نذكر طرفًا من تاريخ هذه المرأة

هي ابنة فلاح ايطالي ولدت سنة ١٨٥٤ ولم تتعلم شيئًا وهي الآن امية لا تستطيع ان تكتب ولا ان تقرأ وكل ما تستطيعه من هذا القبيل انها تكتب اسمها . وتدّعي انها كانت خادمة في بيت يشتغل اهله بمناجاة الارواح ودعيت مرة لرسم دائرة في مجلس من مجالسهم فظهرت حينئذٍ مظاهر غريبة جعلت الحضور يقولون انها وسيط لظهور الارواح فخافت من ذلك . ثم تعرّفت برجل شجعها على اظهار نفسها فكتبت الى الاستاذ لمبروزو سنة ١٨٨٨ تستدعيه لامتحانها فامتحنها بعد ثلاث سنوات واقتنع ان اعمالها صحيحة لا غش فيها وكان معه الاستاذ طمبوريني فلم يقتنع اقتناعه . ولما شاع أن لمبروزو اقتنع بصحة اعمالها قصدها العلماء وجلسوا معها يمتحنون اعمالها فجلست ١٧ جلسة في ميلان ١٨٩٢ حضرها الاستاذ شيابرلي الفلكي والاستاذ ريشه الفسيولوجي وغيرهما من الاساتذة والاطباء فقرروا ان كل الاعمال التي عملت والنور كاف ليست من اعمال الشعوذة وكذا بعض الاعمال التي عملت والنور غير كاف وان اليد التي كانت تظهر من وراء الستارة هي يد انسان حتمًا . ولم يوقع الاستاذ ريشه ذلك التقرير بل كتب تقريرًا آخر قال فيه ان مراقبة اسايا لم تكن دقيقة وانه لا يمكنه القطع بانها لم تخدعهم او بانهم هم لم يخدعوا

ثم جلست ٤٠ جلسة في ورسوستة ١٨٩٣ و ١٨٩٤ حضرها ٣٢ من المحققين فقال ثلاثة منهم ان اعمالها خداع في خداع وقال عشرة ان الاعمال عملت بقوة خارقة العادة وقال سبعة ان بعضها خارق العادة وبعضها عادي او فيه خداع ومال اثنان الى رأي الثلاثة الاولين

ودعا الاستاذ ريشه السراوليفر لدج والمستر ميرس سنة ١٨٩٤ الى حضور بعض الجلسات ثم حضرها الاستاذ سدجوك وزوجته فاقتنع السر اوليفر لدج والمستر ميرس بان بعض الاعمال من الخوارق واسماء مؤلاء العلماء معروفة لدى قراء المقتطف وكلهم ميالون الى تصديق الغرائب

وسنة ١٨٩٥ دعيت اسايا الى كمبردج ببلاد الانكليز فمنعت الحضور من الشمس في الظلام كأنها خافت ان يكتشفوا الشخص الذي كانت يدهُ تعمل الاعمال. ولما لم تستطع ان تعمل اقل عمل من الاعمال الخارقة وهم يراقبونها جيداً تركوا المراقبة وتركوها تعمل ما تشاء ووجهوا انتباههم الى كشف طرق الخداع التي كانت تخدعهم بها وقرروا اخيراً انهم استدلوا استدلالاً قاطعاً على وجود الخداع في بعض الاعمال واستنتجوا وجودهُ في البعض الآخر استنتاجاً وانهُ لم يحدث ما يوجب فرض قوة خارقة العادة في كل الاعمال التي عملت حينئذٍ

ولما نشر هذا التقرير أُعمل امر اسايا وحسبت من جملة المشعوذين الخادعين ولكن المسيو كيل فلامريون والاستاذ مورسلي والمسيو كوريه كشفوا عنها واثبتوا وجود قوة خارقة العادة تظهر منها. وجربت التجارب التي وصفناها في الجزء الثامن والعاشر من سنة ١٩٠٧ وترجح لدى بعض الباحثين في امرها حينئذٍ ان اعمالها صحيحة لا غش فيها وهذا الذي جعل جمعية المباحث النفسية ترسل لجنة اليها الى نابلي لتمتحنها فيها كما تقدم

هذا وان من يقرأ وصف اعمال هذه المرأة يجد كأنها تستغرب ما تراهُ في مجالسها او تخفيها من الغفلة وقلة الانتباه وكأن الشخص الذي يعمل الاعمال متخفياً يهزأ بهم ويتعجب من سخافة عقولهم ويضل بهم افعالاً تدلُّ على استخفافه بهم

ولذلك نرجح ان شخصاً يدخل الغرفة متخفياً اما من الباب بعد ان يفتحهُ بمفتاح من الخارج لانهُ لم يذكر ان الباب يقفل ويمنع فتحهُ واما من السقف او من مكان آخر وراء الستارة وهو لابس ثياباً سوداء او صابغ جسمهُ كلهُ ما عدا يديه بصبغ اسود فلا يرى في الظلام ولا اذا كان النور ضئيلاً وعلى راحتيه كفان اسودان ينزعها احياناً فتريان جيداً او يلبس بهما كفين ابيضين وهذا سر انطباع الاثر في الطين وعدم ظهور خطوط الجلد في الاثر لانهُ كان لابساً كفيه واعمالهُ تدلُّ على ذلك وعلى انهُ يهزأ بالحضور فيجذب شعر رؤوسهم

ويخرج مناديلهم من جيوبهم ويغرك اذانهم ويدوس على اقدامهم ويقرصهم ويعضهم باسنانه وقد قبض الدكتور فوي مرةً على اليد الخارجة من الستارة وشعر انهُ قبض على يد حقيقية

ورب معترض يقول ان اسايا لا تختار الغرفة التي تظهر اعمالها فيها بل يختارها المستحضرون انفسهم فكيف يتيسر لها ان تجعل فيها مدخلاً للشخص المشترك معها. والجواب ان ذلك سهل جدًّا في اوربا ولا يصعب على صاحب فندق ان يتفق معها على ذلك مقابل جعل قليل لاسيما وان استحضار اسايا في فندقهِ وذكر اسمهِ في الجرائد والمجلات والتقارير العلمية يشهرهُ شهرة ذات قيمة وهي تكتسب من هذه الاعمال لانها تنقد مبلغًا كافيًا من المال واذا كشف امرها فاللوم ليس عليها بل على الذين انخدعوا بها لاسيما وان الشخص الذي يشاركها في هذه الاعمال يكاد يقول للجلوس افتحوا عيونكم وانظروني او اقبضوا عليَّ واكشفوا امري نعم انهُ يدفعهم عنهُ ويخمشهم ويعضهم لكي لا يقبضوا عليهِ ولكن يجب ان لا يبالوا بخمشهِ وعضهِ بل ان يقبضوا عليهِ ويظهروا امرهُ وما حاجة الروح الى العض اذا استطاعت ان تصور روحًا وتخلق كما كانت قبل ان تجسمت. وبلادة اولئك العلماء اغرب من مهارة اسايا في غشها لم فقد وضعوا كرسيها مرةً على آلة كالميزان ليروا هل يزيد وزنها اذا رفعت المائدة مثلاً فوجدوا ان وزنها زاد برفعها المائدة فاستدلوا انها هي التي رفعتها ولكنهم كانوا مثاً كدين انها لم ترفعها بيديها ولا برجليها فاستنتجوا ان القوة التي صدرت منها ورفعت المائدة تأثرت من ثقلها واثرت في الميزان الذي تحت كرسيها ولا ندري لماذا لم يستنتجوا ان رجل الشخص الذي رفع المائدة اصابت طرف الآلة فاثر بعض ثقلهِ فيها

ويؤيد ذلك كلهُ انهُ لما دعيت اسايا الى كمبردج ببلاد الانكليز وامتحنت قوتها حيث لا تقدر ان تخدع الجلوس معها لم تستطع ان تعمل اقل عمل خارق وكل ما استطاعتهُ انها حاولت بعض الشعوذات فلم تنجح فيها. ومعلوم انهُ اذا ثبت الخداع في عمل واحد جاز لنا ان نحمل سائر الاعمال على الخداع لان من يستطيع ان يعمل عملاً صحيحًا لا يلجأ الى عمل كاذب يفسد عليهِ العمل الصحيح

وحبذا لو اغريت اسايا بالمال لكي تكشف سر اعمالها. وهذا لا ينفي وجود قوة في بعض الناس تؤثر في غيرهم بل هذه القوة موجودة ومعترف بها ولكن لم يقم دليل ولا شبه دليل على انها تجسم بصور روؤس وايدٍ فتمض وتقبض وتقرص وتخمش الاَّ الادلة المشار اليها آنفًا وما ماثلها فاذا قامت ادلة اخرى تؤيد ذلك وتثبتهُ ثبوتًا ينفي كل ريب فيكون عالم الارواح اغرب من عالم الاحياء واعجب

ترعة السويس

لم يهتم سكان هذا القطر بمسألة من المسائل العمومية قدر اهتمامهم باقتراح اقترحته شركة ترعة السويس وهو اطالة امتيازها اربعين سنة فينتهي سنة ٢٠٠٨ بدل انتهائه سنة ١٩٦٨ . وقد رأينا ان نوفي الكلام على تاريخ هذه الترعة وشروط امتيازها قبل الكلام على هذا الاقتراح وابداء رأينا فيه

قيل ان كثيرين من الفراعنة فكّروا في انشاء ترعة تصل البحر الاحمر بالنيل والبحر المتوسط وذهب ارسطو واسترابون وبلينيوس الى ان رعمسيس الثاني المعروف بسيسوستريس شرع في حفر هذه الترعة سنة ٣٣٠٠ قبل المسيح الاّ ان هيرودوتس ذكر ان نخو الثاني ملك طيبة كان اول من حفرها وذلك نحو سنة ٦١٠ ق . م . واستمر على العمل نحو سنة اشهر هلك في اثنائها ١٢٠٠٠٠ رجل من قومه ثم اوقف الحفر باشارة عرّاف قال له انهُ بعمله هذا ينتفع البرابرة اعداء المصريين يريد بذلك الفرس . وقال ارسطو ان ما اوقفهُ عن العمل قول المهندسين ان البحر الاحمر اعلى من الدلتا ويخشى من طغيانه عليها . ثم تغلّب الفرس على مصر بعد ذلك بقليل فاستأنف داريوس الفارسي حفر الترعة واتمها نحو سنة ٥٢٠ ق . م .

وكان للنيل في ذلك الزمان فرع يسمى فرع بلوسيوم او الطينة يبتدئ على مقربة من بنها ويمر في بوباستس أي تل بسطة قرب الزقازيق ويصب في بلوسيوم على بضعة عشر ميلاً غربي بورسعيد . فكانت تخرج الترعة المشار اليها من هذا الفرع شمالي بوباستس ثم تجتاز وادي الطليات او وادي القنال الى البحيرات المرة شمالي خليج السويس . ولم يوصلوا بين البحيرات والخليج خوفاً من طغيان البحر الاحمر على الدلتا لانهم كانوا يظنون ان سطحهُ اعلى منها فكانوا يحملون البضائع على ظهور الدواب بين الخليج والبحيرات فوق برزخ يسمى الشالوف عرضهُ ١٣ ميلاً ونصف ميل . ثم تراكمت الرمال على هذه الترعة فاحتفرها بطليموس مرة اخرى سنة ٢٧٠ ق . م . واوصلها الى البحر الاحمر وجعل لها سدوداً واقفالاً يمنع بها طغيان البحر واختلاط مائه بالنيل في زمن الانخفاض وبنى فرضة على رأس الخليج سماها ارسنوي . وذكر استرابون وكان قد جاء الى مصر قبل المسيح بزمن يسير ان الترعة كانت صالحة للملاحة في ايامه وروى فلوطرخس ان كليوباطرة شرعت في تهريب اسطولها الى البحر الاحمر في هذه الترعة وذلك بعد هزيمتها في موقعة اكتيوم لكنها اخفقت في ذلك لان الماء كان قليلاً

ويظهر ان الرمال عادت وتراكمت على الترعة مرة اخرى فاحتفرها طرايانس القيصر الروماني (٩٨ — ١١٥ ب . م) وكان الفرع البلوسي قد اخذ يتحول غرباً فجعل طرايانس اوفا في بابليون وهي قرية كانت قائمة على مقربة من دير مار جرجس في مصر القديمة . وما زالت الرومانيون يسيّرون مراكبهم فيها الى ان ردمتها الرمال مرة اخرى

ويقال انهُ بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص اصاب اهل المدينة جهد شديد فاحتفر عمرو هذه الترعة مرة اخرى وسماها خليج امير المؤمنين وكان ذلك سنة ٢٣ هجرية وفرغ منها في مئة اشهر وجرت فيها السفن ووصلت الى الحجاز في الشهر السابع وما زالت السفن تسير فيها مدة ١٣٤ سنة الى زمن ابي جعفر المنصور الخليفة العباسي فامر بردمها ليقطع الطعام عن محمد بن عبدالله حين خرج عليهِ في المدينة . وقيل ان الحاكم بامر الله من الخلفاء الفاطميين في مصر احتفرها وجعلها صالحة للملاحة الى ان ردمتها الرمال مرة اخرى وبقيت المياه تجري اليها في ايام الفيضان الى زمن محمد علي فامر بردمها ولم تزل آثارها الى الآن

ولما جاء نابليون الى مصر رأى آثار هذه الترعة وجال في خاطره ان يحتفرها وينقل جنودهُ عليها الى الهند ويخرج الانكليز منها فعرض مشروعهُ هذا على مهندسهِ المشهور المسيو لوبير وطلب اليهِ ان يكتب لهُ تقريراً عنهُ . ويظهر ان لوبير وقع في الخطإ الذي وقع فيهِ المصريون من قبله فقال ان سطح البحر الاحمر اعلى من سطح البحر المتوسط بعشرة امتار واعلى من الدلتا ايضاً فاذا فتحت الترعة يخشى من طغيان الماء عليها . وبقيت المسألة على بساط البحث الى ان قضت الاحوال بخروج نابليون من مصر فسقط مشروعهُ هذا وروي انهُ قال «ان هذا العمل عظيم لم يتقدّر لي ان اعملهُ ولعل الدولة العثمانية تسترجع عظمتها يوماً ما باتمامهِ» . وبقي يردد هذا القول وهو اسير في جزيرة القديسة هيلانة

وسنة ١٨٤٦ قام المهندس الفرنسوي بوردالو وقال ان الفرق بين ارتفاع البحرين لا يذكر فالتفت فرنسا وانكلترا والنمسا لجنة مؤلفة من المسيو تلابوت والمستر ستيفنسن والسير نجرلي فقرروا بعد البحث ان البحرين متساويان في الارتفاع . واستأنفوا البحث سنة ١٨٥٣ لكن المهندس الانكليزي لم يستصوب فتح الترعة خوفاً من ردم الرمال لها كما جرى في الازمنة الماضية فاثر كلامهُ في مواطنيهِ واضعف عزيمتهم وكان كثيرون من ساسة الانكليز ايضاً معارضين لهذا المشروع خوفاً على الهند

وقدّر ان يتم هذا المشروع على يد رجل فرنسوي وهو المسيو فرديناند ده لسبس المشهور وكان قبلاً قنصلاً لدولتهِ في مصر وتونس وغيرهما ثم سفيراً في مدريد فرومية واستقال من

الخدمة وهو ابن خمسين سنة. وحدث قبل ذلك انهُ كان مسافراً للاستلام وظيفته في تونس ومرَّ بالاسكندرية لقضاء الطبر المعتاد فيها فارسل لهُ احد اصدقائهِ كتاباً ليقرأهُ وهو تاريخ حملة نابليون على مصر فقرأ فيهِ تقرير لوبير الذي اشرنا اليهِ فتنبَّه لهذا الامر ولم يقرَّ لهُ قرار منذ ذلك الحين حتى تمَّ المشروع. واخذ يقرأ كل ما كتب في هذا الموضوع من زمن الفراعنة الى ايامهِ ودرس احوال التجارة بين الشرق والغرب على طريق رأس الرجاء الصالح فوجدها تتضاعف كل عشر سنوات وقدَّر انهُ لو وجدت طريق الى الهند اقرب من طريق الرأس لزادت التجارة عن ذلك كثيراً فارسل كتاباً الى صديق لهُ في القاهرة طرح عليهِ هذه المسألة ثم سافر الى الاستانة للسعي في هذا العمل لكنهُ لم يلقَ فيها ما يقوِّي آمالهُ فعاد الى وطنهِ ومكث فيهِ زمناً الى ان بلغهُ تولية سعيد باشا على مصر سنة ١٨٥٤. وكان بينهُ وبين سعيد باشا صداقة قديمة فاسرع في المجيء الى مصر ولازم سعيداً وفاتحهُ بذلك فوقع المشروع عندهُ موقع الاستحسان. واعطاهُ الامتياز بهِ وجاء في عقد الامتياز ما يأتي

ان محبنا المسيو فرديناند ده لسبس بيَّن لنا المنافع التي تنالها مصر من وصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر بترعة تسير فيها السفن الكبيرة وانهُ يمكن تأليف شركة من اغنياء كل الممالك لهذه الغاية فقبلنا ما عرضهُ علينا وخولناهُ الحق ان يؤلف ويدير شركة عمومية لحرق برزخ السويس وانشاء ترعة بين البحرين وفوضناهُ ان يعمل كل الاعمال اللازمة لذلك وعلى الشركة ان تعوض على الذين تضطر ان تأخذ املاكهم لهذه الغاية وذلك كلهُ طبقاً للبنود التالية

ويلي ذلك ٣٢ بنداً اهمها ان هذا الامتياز لتسع وتسعين سنة من يوم فتح الترعة لتجارة وان الشركة مضطرة لعمل كل الاعمال على نفقتها وان الحكومة تهبها من اراضيها ما يلزم لاتمام هذا العمل وانها تأخذ بدل ذلك ١٥ في المئة سنوياً من صافي ربح الشركة فوق ربحها من الاسهم التي تكون للحكومة والثانون في المئة الباقية من الربح تعطى منها ٧٥ للمساهمين و١٠ للمؤسسين ومتى انقضت مدة الامتياز صارت الترعة للحكومة فتقوم هي مقام الشركة في كل شيء اما المواد والمنقولات التي للشركة فتدفع الحكومة ثمنها حسب تقدير المقدرين وامضي هذا الامتياز في القاهرة في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤.

ثم حررت هذه الشروط وفصلت ثانية وثالثة وقيل في التحرير الاخير انهُ يجوز للشركة ان تجدد امتيازها بشرط ان تزيد ما تدفعهُ الى الحكومة فتجعلهُ ٢٠ في المئة في المدة الاولى و٢٥ في الثانية و٣٠ في الثالثة و٣٥ في الرابعة ثم تقف عند هذا الحد. وهنا نرى اختلافاً بين النصوص التي عندنا وما ذكرهُ المستشار المالي حديثاً في مذكرتهِ فالنص الذي عندنا يقول ان

الشركة تدفع الى الحكومة ٢٠ في المئة في السنة الاول من ستي المدة الثانية و ٢٥ في السنة الثانية و ٣٠ في الثالثة و ٣٥ في الرابعة ثم تستمر على ذلك. ومذكرة المستشار تقول ان الشركة تدفع ٢٠ في المئة في التسع والتسعين سنة الثانية و ٢٥ في التسع والتسعين الثالثة و ٣٠ في التسع والتسعين الرابعة و ٣٥ في التسع والتسعين الخامسة فكأن الامتياز أُعدَّ لستمائة سنة

وكان مع ده لسبس ثلاثة مهندسين وهم موجل بك وليان بك والمسيو ايقانس تعملوا جميعهم اعظم المشاق قبل ان شرعوا في العمل. وكانت انكلترا اكثر الدول مقاومة لهم وسعى اللورد ستراتفورد صفيرها في الاستانة في احباط مساعيهم وهزأت بهم الجرائد الانكليزية لكنَّ ذلك لم يثنِ عزيمتهم فذهب ده لسبس الى فرنسا لجمع المال فلم ينجح وعاد الى مصر واقترض من سعيد باشا نحو مئة الف جنيه ولم يمضِ زمن حتى فرغ هذا المال. فانفع سعيد باشا باكتتاب ١٧٧٦٦٢ سهماً من اسهم الشركة ولما رأى الفرنسويون ان والي مصر اكتتب بما يقرب من نصف الاسهم اقبلوا على الاكتتاب بها. اما سعيد باشا فلم يكن عندهُ مال لدفع ثمن ما اكتتب به فكان ديناً عليهِ تأخذ الشركة فائدتهُ

وبدئ بالعمل في ٩ مارس سنة ١٨٥٩ في المكان الذي اقيمت عليهِ مدينة بورسعيد في ما بعد. فشرع في توسيع الميناء وبناء حواجز لها ثم بدئ بحفر الترعة وبناء مدينة الاسمعيلية. وفي اثناء هذه المدة توفي سعيد باشا وخلفهُ اسمعيل باشا سنة ١٨٦٣ والعمل مستمرّ. وكان الفلاحون يساقون كرهاً الى العمل ويعاملون اقسى المعاملة فهاج ذلك غضب الشعب الانكليزي والباب العالي واصدر السلطان امراً بمنع السخرة فاشتد الخلاف بسبب ذلك بين الشركة وبين اسمعيل باشا وكانت الشركة قبل ذلك قد عجزت عن فتح ترعة من النيل كان قد تم الاتفاق عليها واوعز ان اسمعيل باشا منعها عن اتمامها فلجأ اسمعيل باشا الى التحكيم وعيَّن نابليون الثالث حكماً فظنَّ انهُ ينصفهُ فحكم ان يدفع اسمعيل باشا تعويضاً للشركة قدرهُ ٣٨٠٠٠٠٠٠ فرنك لانهُ ابطل السخرة وغرامة ٤٦٠٠٠٠٠ فرنك لانهُ ابطل حفر الترعة النيلية. ويقدر الخبيرون ان مصر انفقت على ترعة السويس نحو ٥٠٠ مليون فرنك اي اكثر من مجموع نفقات انشائها فكأنها دفعت كل نفقاتها وخرجت منها صفر اليدين. ومن الغريب انهُ لم يمرّ ولا باخرة واحدة مصرية في الترعة سنة ١٩٠٨

وكان افتتاح الترعة في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ بحضور اسمعيل باشا وولي عهده وامبراطور النمسا والامبراطورة اوجيني وولي عهد بروسيا والغراندوق نيخائيل الروسي وغيرهم من الامراء والعظماء. واكثر اسمعيل باشا من الاسراف في هذا الاحتفال فانفق ٦٠٠٠٠ جنيه على بناء

الاوبرا وبنى قصراً في مدينة اسمعيلية لنزول الامبراطورة اوجيني انفق عليه ٤٠٠٠٠٠ جنيه وفتح طريقاً جديدة الى الاهرام لمرورها واحضر ٥٠٠ طاهٍ والف خادم من اوربا وقيل ان جملة ما انفقه على هذا الاحتفال بلغ ١٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك وهي القيمة التي باع بها فيما بعد حصة مصر من اسهم السويس وحقق علي باشا مبارك ان النفقات بلغت ٣٥٠١٠٩٣ جنيهاً

وكانت اسهم الشركة العادية ٤٠٠٠٠٠ قيمة السهم الواحد ٥٠٠ فرنك واسهم التأسيس ٢٠٠٠٠٠ وزع اسمعيل باشا حصته منها على اخصائه فبعضهم حفظها واثرى بها والبعض لم يعرف لها قيمة فباعها بارخص الاثمان. وكان للحكومة المصرية ١٥ في المائة من ارباحها تصرف فيها اسمعيل فانه اقترض مليون جنيه من شركة المنديكات ورهن عندها هذه الحصة فلما عجز عن وفاء الدين تألفت شركة وفت الدين واخذت الحصة المذكورة فخسرتها مصر والذين اخذوها اصدروا بها اسهماً باعوها للجمهور وحملة هذه الاسهم يعترضون الآن على اطالة مدة الامتياز على الشروط المعروفة لانها تقتضي اعطاء جانب من ربحهم الى الحكومة المصرية ولا يُرَدُّ لهم شيء لانهم لا يستفيدون من اطالة الامتياز. ولا بدَّ ان يسمع اعتراضهم وينصفوا

وشاع سنة ١٨٧٥ ان اسمعيل باشا يرغب في بيع الاسهم التي عند الحكومة المصرية وقدرها ١٧٦٦٠٢ فاسرع الكولنل ستانتن فنصل انكلترا في مصر الى سراي الخديويه واشتراها منه بلسم الحكومة الانكليزية باربعة ملايين جنيه ولم يخرج حتى اخذ توقيعاً بالبيع بحضور نوبار باشا وقد قُدِّر ثمن هذه الاسهم في سنة ١٩٠٦ بواحد وثلاثين مليوناً من الجنيهات خسرتها مصر

ولم ينجح عمل هندسي كما نجحت ترعة السويس لكن الدولة التي فتحت في بلادها وتلفت تجارتها بها وذابت مهج رجالها في حفر رمالها وهي الدولة العثمانية لم تستفد منها شيئاً. والدولة التي عارضت في انشائها اشدَّ المعارضة وهي الدولة الانكليزية استأثرت باكثر فوائدها وعندها الآن اكثر اسهمها. واليك بيان عدد البواخر التي مرت فيها منذ انشائها الى الآن مع مقدار الرسم المتحصَّل منها سنة فسنة

السنة	عدد البواخر	المتحصل بالفرنكات	السنة	عدد البواخر	المتحصل بالفرنكات
١٨٦٩	١٠	٤٦٠٠٥٤٠٠٠	١٨٧٣	١١٧٣	٢٢٨٩٧٣٠٩
١٨٧٠	٤٨٦	١٥٩٣٢٧٠٠٥	١٨٧٤	١٢٦٤	٢٤٨٥٩٣٨٣
١٨٧١	٧٦٥	٨٩٣٧٣٢٠٠	١٨٧٥	١٤٩٤	٢٨٨٨٦٣٠٢
١٨٧٢	١٠٨٢	١٦٤٠٧٥٩٠	١٨٧٦	١٤٥٧	٢٩٩٧٤٩٩٨

الشكل الاول

الشكل الثاني

الشكل الثالث

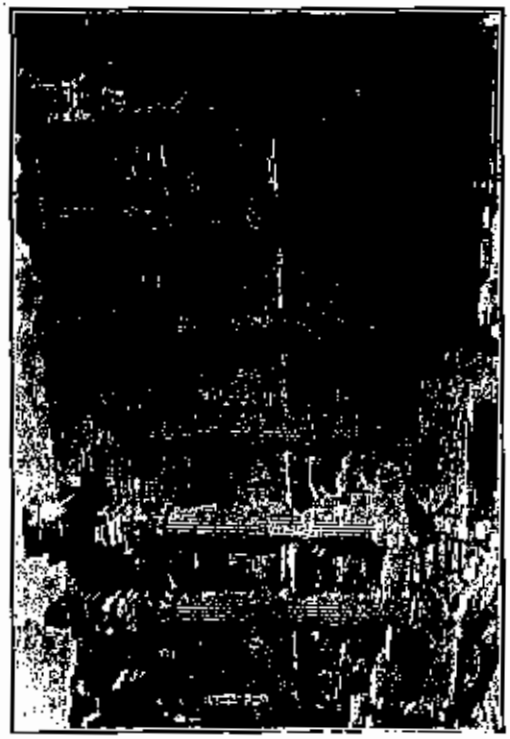

الشكل الرابع

الشكل السادس

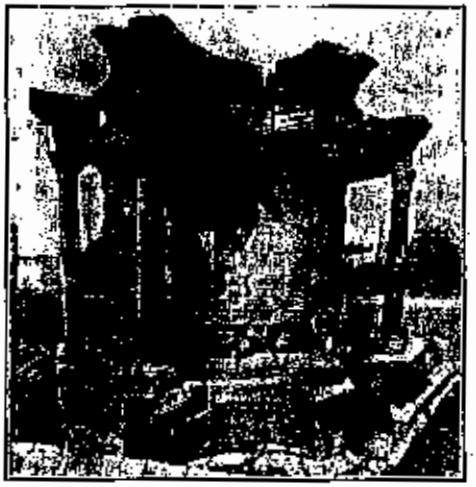

الشكل الخامس

السنة	عدد البواخر	المتحصل بالفرنكات	السنة	عدد البواخر	المتحصل بالفرنكات
١٨٧٧	١٦٦٣	٣٢ ٧٧٤ ٣٤٤	١٨٩٣	٣٣٤١	٧٠ ٦٩٧ ٣٦١
١٨٧٨	١٥٩٣	٣١ ٠٩٨ ٢٢٩	١٨٩٤	٣٣٥٢	٧٣ ٧٧٦ ٨٢٧
١٨٧٩	١٤٧٧	٢٩ ٦٨٦ ٠٦٠	١٨٩٥	٣٤٣٤	٧٨ ١٠٣ ٧١٧
١٨٨٠	٢٠٢٦	٣٩ ٨٤٠ ٤٨٧	١٨٩٦	٣٤٠٩	٧٩ ٥٦٩ ٩٩٤
١٨٨١	٢٧٢٧	٥١ ٢٧٤ ٣٥٢	١٨٩٧	٢٩٨٦	٧٢ ٨٣٠ ٥٤٥
١٨٨٢	٣١٩٨	٦٠ ٥٤٥ ٨٨٢	١٨٩٨	٣٥٠٣	٨٥ ٢٩٤ ٧٦٩
١٨٨٣	٣٣٠٧	٦٥ ٨٤٧ ٨١٢	١٨٩٩	٣٦٠٧	٩١ ٣١٨ ٧٧٢
١٨٨٤	٣٢٨٤	٦٢ ٣٧٨ ١١٥	١٩٠٠	٣٤٤١	٩٠ ٦٢٣ ٦٠٨
١٨٨٥	٣٦٢٤	٦٢ ٢٠٧ ٤٣٩	١٩٠١	٣٦٩٩	١٠٠ ٣٨٦ ٣٩٧
١٨٨٦	٣١٠٠	٥٩ ٥٢٧ ٣٩٠	١٩٠٢	٣٧٠٨	١٠٣ ٧٢٠ ٠٢٠
١٨٨٧	٣١٣٧	٥٧ ٨٦٢ ٣٧٠	١٩٠٣	٣٧٦١	١٠٣ ٦٢٠ ٢٦٨
١٨٨٨	٣٤٤٠	٦٤ ٨٣٢ ٢٧٣	١٩٠٤	٤٢٣٧	١١٥ ٨١٨ ٤٧٩
١٨٨٩	٣٤٢٥	٦٦ ١٦٧ ٥٧٩	١٩٠٥	٤١١٦	١١٣ ٨٦٦ ٧٩٦
١٨٩٠	٣٣٨٩	٦٦ ٩٨٤ ٠٠٠	١٩٠٦	٣٩٧٥	١٠٨ ١٦١ ٨٩٦
١٨٩١	٤٢٠٧	٨٣ ٤٢٢ ١٠١	١٩٠٧	٤٢٦٧	١١٦ ٠٠٠ ٠٩٦
١٨٩٢	٣٥٥٩	٧٤ ٤٥٢ ٤٣٦	١٩٠٨	٣٧٩٥	١٠٨ ٤١٣ ٤١٠

فيرى من ذلك ان دخل الترعة يزداد سنة فسنة ولو لم تكن زياداته منتظمة وقد بلغت الزيادة نحو اربعين مليون فرنك في العشرين السنة الاخيرة فتوسط الزيادة السنوية مليونا فرنك ولعلّ هذا اقصى متوسط للزيادات في المستقبل

اما الاقتراح الذي اقترحته الشركة وعدّته الحكومة فهو ان تعطي الشركة للحكومة مقابل اطالة الامتياز اربعة ملايين من الجنيهات على اقساط آخرها سنة ١٩٠٢ وتعطيها ايضاً ٤ في المئة من صافي ربحها السنوي في العشر السنوات الاولى من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٠ و٦ في المئة في العشر السنوات الثانية و ٨ في المئة في العشر السنوات الثالثة و ١٠ في المئة في العشر السنوات الرابعة و ١٢ في المئة في المدة الباقية من الامتياز اي من سنة ١٩٦٠ الى سنة ١٩٦٨ ثم تعطيها نصف صافي ربحها السنوي مدة الاربعين سنة التي يطال فيها

الامتياز ولكن اذا قل الربح في سنة من السنين عن مئة مليون فرنك فالشركة تأخذ منهُ ٥٠ مليوناً والباقي يكون للحكومة

وقد كان دخل الشركة سنة ١٩٠٨ نحو ١٠٨ ملايين من الفرنكات وصافي ربحها من ذلك نحو ٧٠ مليون فرنك

قد حسب المستشار المالي ان مصر لا تكون مغبونة بهذا الاتفاق لان الاموال التي تأخذها من الآن الى ان ينتهي الامتياز الاول تساوي في وفوائدها الاموال التي يمكن ان تأخذها الشركة مدة الاربعين سنة التي يطال فيها الامتياز اذا حسبنا ان مصر ودت الاموال التي اخذتها بفائدة ٣ ونصف في المئة سنوياً او ٣ وربع في المئة . ويظهر لنا انهُ اذا انفقت الحكومة المصرية الاموال التي تأخذها من الشركة في انشاء السكك والترع والمصارف فان ربح البلاد من ذلك لا يقل عن اربعة في المئة سنوياً مما ينفق في هذا السبيل ويسهل على الحكومة ان تنشئ بنكاً زراعياً بهذه الاموال وتدينها للفلاحين بفائدة خمسة في المئة فقط وتجعل واحداً في المئة منها لمصاريفهِ والباقي يكون ربحاً لها وفي الحالين تصير الاربعة الملايين التي تأخذها من الشركه نحو ٣٦٠ مليوناً من الجنيهات سنة ١٩٦٨ والارباح التي تؤخذ بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٦٨ تصير سنة ١٩٦٨ نحو ٥٤ مليوناً فكأن الشركة اعطت الحكومة المصرية سنة ١٩٦٨ نحو ٩٠ مليون جنيه لكي تسمح لها الحكومة باخذ نصف ربح الشركة مدة اربعين سنة بعد ذلك ومعلوم ان هذا المبلغ وهو ٩٠ مليون جنيه اذا اقرضتهُ الحكومة سنة ١٩٦٨ لرعاياها بفائدة ٥ في المئة كان ربحهُ السنوي اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات وهو اكثر مما تنتظر ان تربحهُ من الترعة لو بنيت كلها لها

وهذا الحساب مدقق ونتيجتهُ واضحة وهي ان الاموال التي تأخذها الحكومة من الشركة من الآن الى انتهاء مدة الامتياز تصير حينئذٍ ٩٠ مليون جنيه اذا استعملت في اعمال منها ربح يساوي اربعة في المئة سنوياً وهذه الاعمال كثيرة ميسورة كانشاء سكك الحديد والترع والمصارف او كانشاء بنك لتدين الفلاحين بفائدة لا تزيد على خمسة في المئة سنوياً

وسنعرض هذه المسألة على الجمعية العمومية نصبي ان تنظر فيها بعين الروية وتفيد بلادها بدل ما خسرتهُ من انشاء هذه الترعة فيها وجدنا لو اشترطت انشاء بنك زراعي بهذه الاموال تخفيفاً لوطأة الدين عن الفلاحين

الذئاب في رومانيا

يشكو اهالي هذا القطر من حر الصيف « وشرّه » الخامسين ولا يدرون ما يحلّ بغيرهم من برد الشتاء حين تغطى الارض بالثلوج ولاسيما حيث البلاد كثيرة القفار والخراج ولم تزل الوحوش تسرح في فلواتها وتهاجم الناس في منازلهم كما في سيبيريا ورومانيا . واكثر الوحوش هناك الذئب وهو حيوان لا يخشى شرّهُ اذا كان الفصل صيفاً والطعام ميسوراً وشجاع شديد البطش اذا عضّهُ الجوع حيناً يشتد البرد وتغطي الثلوج الارض وقد كان هذا شأنهُ في سائر البلدان الباردة ولكن العمران افناهُ او كاد ولم يبقَ لهُ اثر الاَّ في الامثال

قال احد الكتاب في مجلة العالم ان الامهات في رومانيا يخوفن اولادهن بالذئب فيقلن لهم اسكتوا والاَّ جاءكم الذئب . والذئاب كثيرة في حراج كرباثيا فاذا اقبل الشتاء نزلت الى السهول تسعى في طلب رزقها فتسير بالمئات فوق الجليد تلتهم كل ما تجدهُ في طريقها من حيوان او انسان ولذلك يقفل الناس على مواشيهم ولا يسرحونها في الشتاء . ولا يخرج الفلاحون من قرية الى أخرى الاَّ مسلحين ولو في رائعة النهار ومع ذلك لا تمضي سنة ما لم تفترس الذئاب نفراً منهم . ولقد كانت اكثر عدداً واشد فتكاً في السنين الغابرة روى بعضهم ان ثلاثين كانوا في عرس وعادوا الى بيوتهم بعد نصف الليل والموسيقى امامهم فلم يصل منهم احد لكن ذلك حدث منذ سنين كثيرة

وحدث سنة ١٩٠١ ان الشتاء كان شديد البرد وكثر وقوع الثلج حتى توقفت قطرات سكة الحديد عن المسير عشرة ايام واستأذن خمسة من الجنود في الذهاب الى بيوتهم لقضاء عيد الميلاد فيها وهي على ستة اميال او سبعة من ثلاثة مقر المعسكر ومضت ثلاثة ايام ولم يعودوا ولما مضى اسبوع ولم يعودوا حُسبوا فارّين من الجيش وصدرت الاوامر بالقبض عليهم وسأل ولاة الامر عنهم في قريتهم فوجدوا انهم لم يمضوا اليها . وبعد اسبوعين خرج بعض رجال القرية الى غابة هناك للاحتطاب فوجدوا آثار اولئك الجنود قرب الغابة . قال الكاتب وكنت على مقربة من القرية ضيفاً على احد كبار المزارعين فركبنا مزلقة تجرها الخيل واسرعنا الى ذلك المكان فوجدنا الثلج ممزوجاً بالدم الجامد في بقعة قطرها نحو ثلاثين متراً وخمس حراب جمد الدم عليها وفي واحدة منها خرزة من ظهر ذئب واغماد ومناطق وقد نهشتها الذئاب وعظام اناس وذئاب وخرق من الثياب وازرار نحاسية وعشر اقدام بشرية

لان الذئاب لا تأكل اقدام الناس وهذا مما لم ارَ لهُ ذكراً في كتاب من كتب الحيوان

والظاهر ان اولئك الجنود الخمسة ساروا الى قريتهم جذلين بقرب لقاء اهلهم وهم لا يدرون ما خبيءٌ لهم في زوايا القدر فلما صاروا على محاذاة الغابة كانت الذئاب ترصدهم فيها فهجمت عليهم واعملت فيهم انيابها فقابلوها بالحراب ولكن الكثرة تغلب الشجاعة فافترستهم واحداً بعد الآخر وافترست ايضاً كل ما قتلوهُ منها ولم تبقِ الاَّ ما لم تستطع اكلهُ من العظام والثياب والحراب

وحدث في ديسمبر سنة ١٩٠٣ ان ملازماً في البوليس الروماني كان يفتش في بعض القرى فوقعت لهُ واقعة مريعة مع الذئاب وهاك وصفها عن لسانهِ قال

ادركني الظلام وانا في طرف غابة فشعرت كأنَّ فرمي قلق لسبب لا اعلمهُ فلم اعبأ بذلك ثم جعل يشخر ويرتجف فالتفت اليهِ وسمعت حينئذٍ ما سمع هو قبلي عواء ذئاب ولما رأيتهُ بتديد التلق اعملت في شاكنهِ المهماز وعدوت بهِ لا خوفاً من الذئاب بل تسكيناً لقلقهِ ثم انقطع الصوت فظننت ان الذئاب ذهبت في طريق آخر ولكن لم يكن الاَّ هنيهة حتى سمعت صوتها على مقربة مني فالتفت ولم ارَ شيئاً ولكني لم اخشَ شرًّا لان من كان على صهوة جواد در حسب نفسهُ بمأمن من كل خطر وسكت قريبتي لكي اطلقها على الذئاب حالما يقع نظري عليها تخويفاً لها حاسبًا ان طلقاً واحداً يثنيها على عقابها وكنا نضع في القريبة خرطوشين لارصاص فيهما فوق ثلاثة خراطيش فيها رصاص . ولم يكن الاَّ دقيقة او دقيقتان حتى رأيت الذئاب تنساب بين الاشجار والاجم ولما قربت مني كثر عددها ثم ظهرت كلها بغتةً كأنها على ميعاد ولم يكن عددها اقل من مئتين فاطلقت عليها الخرطوشين الحاليين من الرصاص فلم تعبأ بهما فادركت حينئذٍ ان الامر ليس كما ظننت والتفتُّ الى ورائي فرأيتها تقطع الطريق الى الجهة الاخرى لكي تهاجمني من جهتين فاطلقت عليها الرصاصات الثلاث فعوت عواء الالم ولكني لم ارَ فعل الرصاص بها لان فرمي كان يعدو بي مسرعاً فتكبَّتُ قريبتي واعملت المهماز في شاكنهِ فانطلق بي كالريح وكان الطريق امامي مستقيماً ولكني لم ارَ احداً سائرًا فيهِ ولم اكن انتظر ان اصل الى مكان مأهول قبل ساعة من الزمان ولم اعد في حاجة الى حث فرمي على الاسراع لانهُ كان اشد رعباً مني فجرى بي على قدر طاقتهِ

ثم رأيت عشرة من الذئاب قطعت الى الطريق وجعلت تجري معي والتفتت اليَّ بعيون متوقدة كالسرج ولقد سمعت ان اشد الخطر منها حين تثب على كفل الفرس وتعمل انيابها ومخالبها في لحمهِ فيجنُّ من الالم ثم رأيت واحداً منها تقدمها وكأنهُ كان يتحفز للوثوب فاخرجت

مسدسي واطلقت رصاصة عليه فصرخ ووثب في الهواء ثم وقع على الارض فهجمت اخوته عليه ولم التفت لارى هل افترسته او تركته لاسيما وان بقية الذئاب كانت جادة في اثري تخمين الفرس للوثوب عليّ . وكان الثلج يغطي الطريق وهو لحسن حظي ليس شديد الصلابة ولا شديد الليونة ولو كان هذا او ذاك وعثر بي الجواد لقضي عليّ وعليه

ثم هجم عليّ ذئب آخر فاردته كما اردبت اخاه وهجم اثنان فاردبتهما ثم هجم اثنان آخران فاتبعتهما باخوتهما والحال اختفت الذئاب من امامي فقلت لعلها رأت الغنيمة بالهرب ولم اعد احث فرسي على الهدو تخفف من سرعته وبعد قليل دارت بي الطريق فادركت حينئذٍ سبب اختفاء الذئاب وهي انها رأت الدورة فاختصرت الطريق اليّ حيلة منها فوقعت في حيرة ولا حيرة الضب ولم يبقَ معي رصاص ولكن سيفي كان ماضياً وكنت ماهراً بالضرب به فاستللته واعملت المعاز في فرسي ولكن الذئاب حوطتني من كل ناحية فجعلت اضربها يمنةً ويسرةً فاردبها واني لكذلك واذا بالجواد همر ووثب حتى كاد يقلبني عن ظهره فالتفت واذا ذئب لاصق بكفله وكان اقرب من ان اناله بضربة من سيفي فضربت رأسه بقبض السيف ضربة اطارت دماغه فوقع قتيلاً على ما اظن

والظاهر ان اياب هذا الذئب ومخالبه كانت قد عملت في كفل جوادي فكنت اسمعه يزفر ويئن وهو مسرع في عدوه ووددت لو امكنني ان اريحه من الجري ولكن في راحته هلاكه وهلاكي وبعد قليل تمهل في جريه رغماً عن حثي له فالتفت حولي واذا الذئاب قد انفضّ جمعها وانصرفت عني كأنّ آمراً امرها بالانصراف فخفت ان تكون قد دبرت لي حيلة أخرى واستمررت في جري ورأيت حينئذٍ انواراً امامي فادركت سبب تكوص الذئاب فانها رأت انا دنونا من البلد فارتدت على اعقابها . وحاولت حينئذٍ ان اعمد سيفي في قرابه فوجدت يدي يابسةً لا تتحرك من شدة التعب

وخرج بعض الرجال اليّ واتوني بخمر ولم يكادوا يصدقون قصتي . ولقد قضيت ساعة كانت اطول من شهر وطالما ترددت عليّ في احلامي بعد ذلك

وقمت في اليوم التالي مع اربعة من رجال البوليس ومررنا في ذلك الطريق فرأينا كثيراً من بقايا الذئاب التي قتلتها وافترستها اخواتها . وفي تلك الليلة نفسها افترست الذئاب فلاحاً وفرسين له

وقصّ الكاتب قصةً أخرى عن رجل وخطيبته وخليلها افترستهم الذئاب وكان الخليل قد فرّ بالخطيبة في مزلقة يجرها فرسان فاعتلى الخطيب صهوة جواده وجدّ في اثرها فرأى

الذئاب سبقتهُ اليهما وجعل الثلاثة يصارعون الذئاب وهي تصارعهم الى ان فازت عليهم

وفي اليوم التالي افتقد اهل القرية الخطيب والخطيبة وفتشوا عنهما فوجدوا عظام المزلقة وبعض عظام الفرسين واقدام ثلاثة من الناس وسيفاً ومسدساً وخرطوشاً فارغاً والثلج مجبولاً بالدم فدفنوا الاقدام حيث وجدوها وعادوا يستغفرون الرحمة لاصحابها . بلاد مثل هذه حر مصر ارحم من شتائها ولكن المشاق تقوي العزائم والبرد لا يضعف الهمم كالحر ولهذا فاق اهالي الشمال غيرهم من ام الارض

تربيتنا المدرسية

من خطبة للاستاذ توفيق زيتى تلاها في اجتماع ادبي بالقدس الشريف
حضرهُ جمور كبير من معلمي المدارس

استأذنكم في ايراد كلمة اعتذار اضطرني الى تقديمها ضيق الوقت المعين لي . فاني رغبت منذ عن لي اول خاطر في تقديم شيء في هذا الموضوع ان احيط بهِ من جميع اطرافهِ فاطلعكم على تاريخ التعليم في المدارس ودرجات ارتقائهِ وماذا كان حظ كل امة من الامم القديمة والحديثة في امر ترقيتهِ . ثم اتوصل الى ذكر آراء اكبر المدرسين التي اوصلهم اليها العلم الواسع والاختبار الطويل فاصيحوا مشكاة لاهل التهذيب يستنيرون بنورهم و يسترشدون بضيائهم الى غير ذلك . غير اني رأيت ان الكلام سيتغلغل بي الى حد يضيق عنهُ هذا الوقت القصير ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك جلهُ فلذلك رأيت ان احصر كلامي في ما كان من امر التعليم منذ القسم الاخير من القرن الثامن عشر ثم استطرد الى التنبيه على اهم النقائص في التعليم في مدارسنا واظهار افضل الطرق المعوَّل عليها الآن في سد تلك النقائص فاذا نجحت في ذلك فحسبي

قلت في خطبة سابقة ان التربية البيتية اهم كثيراً من التربية المدرسية لانها اساسها وهو قول لا ارجع عن كلمة منهُ الآن لان الذي لا تربيهِ وتهذبهُ امهُ قلما يكون في وسع المعلم ان يؤثر فيهِ كثيراً لانهُ قلما يفلح المعلم في تزيين العلم للولد الذي لم يصادف من امهِ تحبيباً بهِ ولا تشويقاً اليهِ ولا ترغيباً فيهِ ولم يسمع منها اعجاباً بالنتائج الكبيرة الصادرة عنهُ ولا مدحاً لدويهِ غير ان هذا الكلام وان اعدتهُ تذكيراً للامهات بمقدار اهمية المسؤولية الملقاة على عواتقهن في تهذيب اولادهن الا انهُ لا يقلل شيئاً من اهمية التعليم ولا يخفف مقدار ذرة من

مسؤولية المعلم ولعلهُ لا يزال صدى كلمات البرنس بسمارك « اننا غلبنا فرنسا بمعلم المدرسة » يرن في الاذهان

بقي العلم سائراً سيرهُ البطيء حتى دخل القسم الاخير من القرن الثامن عشر فحدث في امر التعليم تغيير عظيم . والفضل في ذلك التغيير راجع لبستالوزي الاسويسري الشهير وقد وضع ملخص طريقته فقال « انهُ يجب ان يبدأ بالتعليم باكراً في البيت تحت عناية الوالدين . ويجب اجراؤهُ بحسب ناموس الطبيعة ببطء وبدون انقطاع . وان يحث المعلم التلميذ على الاجتهاد ولا يقدم لهُ من المساعدة الاَّ القليل وان ينفر باعمال عقلية محضة باطل ومضر لان الولد لا يقدر ان يقدم رأياً في بحث من المباحث الاَّ ما يكون قد فحصهُ فحصاً اختبارياً وعلم ان يميز بالتدقيق كيفياتهِ وصفاتهِ بواسطة الكلام . وان الشكل والعدد واللغة هي اصول المعرفة وهي المبادىء التي يجب انماؤها في العقل ومعرفتها معرفة تامة في دوائر العلم المختلفة وهي التي يقوم بها التعليم ولذلك كان الحساب العقلي والهندسة وصناعة الرسم وتصوير الاشياء اعمالاً مهمة بقدر درس اللغات ويجب ان تكون المدرسة مكان راحة ونشاط وان يكون للتلميذ فيها حرية لاستعمال قواهُ واظهارها » وما كاد هذا العالم يصرح بافكاره وبطريقة التعليم الواجب اتباعها حتى اقبل عليها المدرسون في اوربا يفحصونها ويقدرونها ولما رأوا مزيتها كانت المدارس البروسيانية في طليعة المدارس التي اقتبستها وجرت عليها . وفي سنة ١٧٦٣ اصدر فردريك الكبير امرهُ بالزام الوالدين ارسال اولادهم الى المدرسة ولم تلبث فرنسا واميركا ان حذتا حذو المدارس البروسيانية ثم تبعتها بعد ذلك روسيا واليابان وكثير من البلدان الاوربية وستجري على تلك الخطة المملكة العثمانية عند العمل بقانونها الاساسي . اما انكلترا فبقيت غير مبالية بامر التعليم والمدارس حتى سنة ١٨٣٤ حين شعرت بحاجتها الماسة الى ترقية التعليم فاخذت تقدم المساعدات للمدارس ولم تقم بالتسلط على التعليم حتى سنة ١٨٧٠ حين امرت بتخصيص مبالغ وافرة للقيام بالمدارس الابتدائية والمحافظة عليها

وجدير بي الآن والدولة العثمانية في بدء دستورها ولا بد ان تهتم في القريب العاجل بامر المدارس والمعلمين والتعليم ان انقل اليكم النظام المتبع في بروسيا الذي يحسب كل نظام في بابهِ . وخلاصتهُ (١) انهُ يحق للحكومة ويجب عليها ان تقوم بانشاء عدد كاف من المدارس الابتدائية لجميع الاولاد الذين في السن المدرسية (٢) انهُ يجب على كل ولد بين سن ٧ و ١٤ ان يدخل في مدرسة ابتدائية عمومية او خصوصية (٣) ان يُعدَّ المعلمون بقدر الامكان لكل انواع المدارس وان يكون لهم ابواب للتقدم في صناعتهم والترقية وان يضمن لهم مساعدة مادية

اذا مرضوا او ضعفوا او شاخوا ولميالهم اذا ماتوا (٤) اتخاذ المراقبة المستمرة على كل مدرسة وكل معلم وان تكون المناظرة من وظائف الحكومة . هذه خلاصة ذلك النظام وحبذا لو وجد مجلس المبعوثان سبيلاً الى الجري عليه مع بعض التعديل الذي يراه لازماً

وان قيل ما هي الغاية اجيب بما قاله سبنسر وهو « ان غاية التعليم اعدادنا لان نعرف كيف نعيش العيش الصحيح » وقال بستالوزي « ليست غاية التعليم تثقيفنا في الواجبات المدرسية بل جعلنا صالحين للحياة » وقال هكسلي « الحياة مثل لعب شطرنج وسعادة الانسان او شقاؤه يتوقفان على ربحه لدور اللعب او خسارته له والتعليم هو الذي يعلم قوانين ذلك اللعب » وقال رسكن « التعليم هو معرفة حيل بدننا وقوى دماغنا ومحاسن طبيعتنا ومساوئها ودرس حالة الاشياء التي نحيط بنا » الى ان قال « ان المتعلم هو الذي اصبح قلبه ارق من ذي قبل ودمه احر وذهنه اكثر توقداً وغدت نفسه هادئة مطمئنة الاطمئنان السلام الحقيقي »

من يطلع على هذه الاقوال ولا يلاحظ كيف تخلصت العقول من الرباط الذي كانت مقيدة به واهملت الطريقة العقيمة التي كان يكتفى فيها من العلم بتكرير الالفاظ وحفظ القواعد ولا بدع فان العالم اليوم قد عرف ان الانسان ليس عقلاً فقط بل هو عقل يحمله جسد له مطاليب خاصة به لا يمكنه الاستغناء عنها بل لا بد للمرء من قضائها مستعيناً بقوى عقله . وارى في هذه الاقوال امراً آخر نحن من احوج الناس الى تذكاره والعمل به . كثيراً ما نندفع في مدح العلم والمتفرغين له وننقص من اعتبار غيرهم من صناعة او تجارة او زراعة او غير ذلك كانا نتصور ان كل الطلبة الذين يتخرجون في مدارسنا سيتفرغون للرياضيات او الهندسة او اللغة او التعليم وربما ذهب عن بالنا ان الذين يمكنهم على الامور العملية اكثر عدداً من الذين يقتصرون على العلوم النظرية ومن الضروري ان يفهم الطلبة ان لا عار في الصناعة مهما كان نوعها وانهم يدخلون المدرسة لتهذيب قواهم العاقلة وتوسيع مداركهم واكتشاف مواهبهم حتى اذا خرج احدهم واحترف التجارة كان تجاراً ماهراً واذا اتبع الفلاحة كان فلاحاً مجتهداً واذا صار مزارعاً كان مزارعاً نبيهاً ذكياً يكتشف في عمله اساليب جديدة ويخترع طرقاً سهلة الى غير ذلك لان غاية المدرسة تهيئة من يدخلها ليحسن عملاً وينهض بمعيشته في اي دائرة وجدها من دوائر العمل

اعتاد الكتاب قسمة التربية الى ثلاثة انواع وهي التربية الجسدية والتربية العقلية والتربية الادبية واني مجاريهم في الكلام على تربيتنا المدرسية

كيف يرى جسم الولد . ان من اول الضروريات للجهاد في الحياة ان يكون للانسان جسم سليم . ليس ذلك لان المالك تقدر قوتها بقوة رجالها العضلية بل لان اشغال الذهن تقتضي تعباً لا يحتمله ذو الجسم السقيم ولذلك قيل العقل السليم في الجسم السليم . وما قولكم اذا قلت ان المبادئ الادبية كثيراً ما تكون ضعيفة في الضعيف الجسم وسبب ذلك ان الآداب الاجتماعية من مثل عمل الخير والسعي في سبيل الصالح العام ومساعدة الآخرين وغير ذلك تقتضي نصباً وجاداً ومن كان سقيماً قصر دون البلوغ الى تلك الغاية . وضعيف الجسم يكون غالباً ضعيف الارادة لا يقوى على كبح جماح شهواته ولا امتلاك عواطفه . وقد تنبه الناس في اوربا الى ذلك في هذه الايام بنوع خصوصي فترى الوفاً من الكتب لا مبحث لها الا تحسين الصحة ولذلك شددت الحكومات وكل عاقل يشدد معها في وجوب ادخال علم حفظ الصحة الى كل مدرسة مهما بلغت من البساطة . كل ذلك مما يبين اهمية التربية الجسدية . والشروط التي تجب المحافظة عليها في هذا السبيل في الطعام واللباس والرياضة والنوم لا اكثر من الكتب فيها . لا اقول اننا يجب ان نجعل الطلبة جبابرة ولكن اقل ما يطلب منا ان نرغبهم في الرياضة ولاسيما ما كان منها في الهواء المطلق وان نحثهم على نظافة ابدانهم وثيابهم مع ترتيبها ونهتم بوضعهم في غرف يدخلها النور الكافي والهواء المتجدد بعيدة عن غبار الشوارع والطرق العمومية ونحضر لهم الكتب ذات الحرف الكبير لكي لا يضروا عيونهم بالتطلع الى الحروف الدقيقة ونعتني بمشيهم منتصبين وتجلسهم على مقاعد لها مسندات يستندون اليها ظهورهم . ربما حسب البعض ان هذه الامور من الثانويات التي لا تستحق هذا الاهتمام ولكن لو علما عدد الذين تتكسر بهم سفينة الحياة وهم في سن الشباب فيخسرون حياتهم وتخسر بهم عوالم وبلادهم خسارة لا تعوض لو علما عدد الذين كدر الضعف صفوهم ونغص عيشهم وساورتهم الهموم لاكبرنا الامر ونظرنا اليه بعين الاعتبار

كيف يرى عقل الولد . او كيف يعلَّم . كانت الطريقة الشائعة في مدارسنا الى ما قبل بضع سنوات ان يقف المعلم شارحاً مفسراً الى ان ينتهي الوقت وهو مشعور انهُ افاد كثيراً وانهُ علَّم . والحقيقة ان التلاميذ لم يستفيدوا وعلى الخصوص اذا كانوا صغاراً لانهُ اذا كان كلام المعلم اسمى من مدركاتهم لم يكن في وسعهم الانتباه وما هم بملومين فيكون هو قد اضاع عليهم فرصة تهذيب قواهم العاقلة من مثل قوة الملاحظة والمقابلة والمطابقة والاستنتاج والاستقراء . ثم ان وقف المعلم امام التلامذة طالبهم اول كل شيء بتلاوة القواعد غيباً حرفاً حرفاً ثم تطرق الى شيء ثانوي وهو التمثيل ولقد عاب المحققون هذه الطريقة وهم عليها جملة مآخذ واول ما

فيها انها ضد النظام الطبيعي . قال سبنسر « العلم هو المعرفة المرتبة وقبلما ترتب المعرفة يجب ان تكون حاصلة فيجب اذن ان تشتمل كل مسألة بنظرية بمثل وكل مسألة طبيعية بعملية وبعد تقديم عدة ملاحظات يبتدئ التحليل والتلخيص » (٢) ان تلك الطريقة تتعب الدماغ وكثيراً ما تكره الى الطالب العلم لأن الدماغ مثل باقي الجسم لا يكمل نموه الا بعد البلوغ ولا يكون ما فيه قبل ذلك الا افكاراً ومعرفة منقطعة متجزئة لا كليات فيها . والفهم يقتضي النظر الى كل الاجزاء متفرقة ثم نسبة بعضها الى بعض وهذا ما لا تقبل للطالب به ابتداء فاذا كلفته اياه افسدت عليك عملك وجنيت عليه وعلى نفسك ولعل الذي اغرانا بهذه الطريقة انكب التي بين ايدينا وخصوصاً القديمة منها ففيها الضابط او القاعدة اولاً ثم يأتي المثل . ولكن يسرنا ان نرى كتبنا اليوم يؤلفون على طرز جديد ويسعون في فك ذلك التقليد القديم (٣) انها تفقد التلميذ اللذة فهي تكفي لان تحمله على الخمول . اللذة رائد الاعمال وقد يستحيل الانسان في عمله وما الدافع له غير اللذة وبدون اللذة لا اتقان في الاعمال ولا جلد على الاتعاب . اللذة هبة العناية وهي حق من حقوق طالب العلم . والعلم غذاء العقول كما ان الطعام غذاء الاجسام وكما ان تناول الطعام يصاحب بلذة هكذا من الواجب ان تلتذ العقول بالعلم فان لم يشعر الطالب بهذه اللذة يكون سبب ذلك اما سوء التربية او ضعف البنية وان لم يكن هذا ولا ذاك فالذنب على الطريقة التي استعملناها . نعم ان الحقائق السامية والمسائل العويصة تتعب الذهن وتجهد القوى العاقلة حتى تكاد تذهب باللذة ولكن هذه المسائل لا تأتي الا بعد التقدم في السن والارتقال في ميدان العلم وحينئذ توجد لذة من نوع آخر وهي اللذة التي تنشأ عن توقع النتائج الكبيرة والمنافع العظيمة واللذة التي تصدر عن محبة التفوق وهذه اللذة تخفف من التعب الوقتي وتلطف من عناء اجهاد النفس

اما الطريقة المعول عليها اليوم عند جمهور المدرسين المحققين فهي ان تذكر الامثلة تكل جزء من اجزاء القاعدة اولاً ثم تسأل الطلبة عما يبدو لهم من جهة الامر الذي تريده في المثال الاول ثم اسألهم مقابلته في المثال الثاني والثالث وهلم جرًّا واسألهم ماذا يستنتجون من ذلك وتوصل بهم الى وضع الضابط او القاعدة وان كنت في سعة من الوقت فاطلب منهم ايراد عدد من الامثلة على كل نوع . ولست ارى من اللزوم ان اصف حال الطلبة حينئذٍ . ادخل غرفة فيها تلامذة يشتغلون بالطريقة الاولى فترى على وجوههم سيماء الملل والضجر والخمول فهذا ينظر الى الحائط والنافذة وذاك يتثاءب يملأ فيه وذاك ينظر الى الساعة ثم ادخل غرفة فيها تلامذة يشتغلون على الطريقة الثانية فترى العيون تبرق والاذهان تفكر وكلهم آذان

تسمع ليسابق بعضهم بعضاً ولماذا ؟ لان المعلم سأل المقابلة بين مثل وآخر وسكت وهم يفكرون والمعلم ينتظر ليرى من منهم يسبق الى ادراك الامر المطلوب . فتأمل الفرق بين الطريقتين وام ما في الطريقة الثانية انك تشغل فكر الطالب وتحصر انتباهه وتجعله يصل الى النتيجة بنفسه ولا تكون انت اذ ذاك الا آلة تساعده في سيله بواسطة السؤالات المتتابعة وما ادراك ما صعوبة وضع تلك السؤالات وترتيبها وما ادراك ما ينجم عن تلك الطريقة من الفوائد العديدة التي تتبع الطالب بعد المدرسة وتقلده سلاحاً يرافقه مدى الحياة واول ما فيها انها تشجعه على اقتحام المصاعب وتعوده حصر انتباهه . والمواظبة والثبات حين الخيبة والفشل صفات لا بد لكل من نزل ميدان الحياة من التحلي بها . والحقائق المكتسبة بهذه الطريقة اثبت في الاذهان لانها ثمرة اكتشافها ولذيذة نعمها وما يأتي بصعوبة لا يذهب الا كذلك وانعكس بالعكس

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

ثم ان الطالب الذي يعوده المعلم الاعتماد على نفسه في حل المسائل قد يجد صعوبة في حلها اليوم وتكلفه وقتاً طويلاً ولكنه يرى نفسه في الغد اسهر منه اليوم فيرى سهولة في حلها واقتصاداً في الوقت كبيراً قال مارسل « ما يكتسبه الطالب بتعب ذهنه اوضح واجلى مما يأخذه عن غيره » وهذه الطريقة تسر التلميذ وتستميل انظاره وما يقرأ او يسمع او ينظر بسرور يسهل تذكاره فيما بعد نظرا ما في هذا السرور من الاستمتاع بالصحة والسعادة في الحياة ومن فوائدها انها تجعل التلميذ ينظر الى معلمه نظر الحبيب الى محبه والابن الى ابيه ويزول ذلك الاعتقاد بهيبة المعلم المبنية على الكاذبة المبنية على الخوف منه والنفور وتشجع الطالب على استئناف دروسه واتباع العلم بعد المدرسة

قد اطلت الكلام على هذه الطريقة لاني اعتقد اهميتها العظيمة فان المدرسة هي المعلم لا ما فيها من مقاعد وكتب . وما البروغرام والاوقات والمواضيع الا اشياء ثانوية لا اهمية لها تجاه هذا الامر الجوهري وهو المعلم والمعلم هو طريقته

وعلى ذكر المواضيع اود ان اقول كلمة في فن درس الاشياء . هذا الفن اعظم الفنون التعليمية توسيعاً للمدارك وانارة للاذهان وتهذيباً للقوى العاقلة على اختلاف انواعها . لانه يفتح عيون الطلبة لرؤية اجزاء الاجسام ويهذب عقولهم في تعليلها ونسبة بعضها الى بعض ونسبتها الى ما يتابلها في جسم آخر وذكر انواعها المختلفة ومنافعها الوافرة الى غير ذلك وقد تنبه له الاوربيون فألفوا فيه الكتب العديدة مزينة بالرسوم الملونة تشويقاً للطالب الى

مطالعتها وتعلمها . ولا اظنني مخطئاً في القول ان هذا الفن قاصر جداً في مدارسنا وارى ان بعض السبب في ذلك اننا لم نألف تعليمهُ من قبل لانهُ حديث الدخول الى بلادنا . غير ان السبب الاهم هو عدم حصولنا على الاشياء ومن يدرس شيئاً من غير ان يريهُ للطلبة او يكون في يدهِ صورة تمثلهُ كان كمن يدرس الفلسفة او الاشياء الخيالية اذ ما عسى ان يفهم الولد من الفرق بين القطن الاميركي والقطن المصري وهو لم تقع عينهُ على شيء منهما او ماذا عساهُ ان يفهم من اشكال الاسفنج وهو لم يرَ شيئاً منها . وهذه الاشياء يمكن الحصول عليها بسهولة من البلدان الاوربية ولعلهُ لا يمضي وقت طويل حتى يدرك المعلمون اهمية هذا الفن ويسعوا في تعزيزهِ فيسدوا بذلك نقصاً كبيراً

وعلى ذكر النقص يجدر بي توجيه النظر الى بعض النقائص التي تختص بالتربية العقلية مما يجنيه الوالدون على اولادهم وقد يساعدهم عليهِ المعلمون القليلو الاختبار من ذلك تعليم الولد وهو دون السن الملائم لهُ . قال سبنسر « نتيجة التعليم الباكر اما هبوط بيّن في القوى الجسدية او الخمول التام او الموت العاجل » قال والسبب في ذلك ان الصغير لا يحتاج الى شيء احتياجهُ الى نمو جسمهِ فالتعليم الباكر يجني عليهِ بان يجعل الدم الذي فيهِ يذهب ليغذي الدماغ بدل ان يغذي اعضاء الجسم وينميها . ومثّل على ذلك بالاثمار التي يسرع نضجها غير صالحة وهي سريعة العطب . الى ان قال « ان الطبيعة محاسب ماهر امين فقد تسلف منها شيئاً في غير اوانهِ ولكنها لا تنساهُ بل يأتي يوم تناقشك فيهِ الحساب » ولا تحتاج في تأييد ذلك الى كبير مشقة اذ ما من احد منا الاَّ ووقعت عينهُ على كثيرين من الذين تهذبت عقولهم قبل اوانها فاصبحوا ضعيفي الاجسام معابين بشيء من الاختلال والنظر اليهم كاف لان يهيج فينا عواطف الشفقة عليهم ويذرنا بخطر هذا السبيل ويحذرنا من اوتياده . النظر الى تهذيب العقل مع عدم التعرض للاضرار بالجسم هو ما دعا فروبل الى انشاء حديقة الاولاد وهي طريقة تعليم الاولاد وهم يلعبون

وعندما اراجع في ذهني الخلطات الكثيرة التي ارتكبها المربون في الماضي ولا يزالـــ يرتكبها البعض في الحاضر لا ارى اعظم من خلطهم في انماء الذاكرة وان شئت فقل حشوها واجهادها ولكن على نفقة سائر القوى العاقلة . ذلك ايها السادة داء الشرق العام

ستأتي البقية توفيق زيتق

الى اين المصير

الى اين المصير اي ما هو مصير نوع الانسان في هذه الدنيا والى اي حد تصل المكتشفات والمخترعات والمستنبطات . سئل جماعة من كبار كتّاب الانكليز هذا السؤال فاجاب كلٌّ منهم بما عنّ لهُ وقد اعجبنا جواب الاول لانهُ مطابق لما نعتقدهُ ولما اوصلنا اليهِ درسنا وبحثنا

قال ان العصر الحاضر عصر البوّاخات يجلس الواحد منا في كرسيهِ ويقول لك هذا ما انبأت بهِ ألا ترى ما تمّ في الغواصات والطيارات وتلغراف مركوني والوصول الى القطب الشمالي والمرء تأخذهُ هزّة الطرب اذا تحقق شيء من امانيهِ فيُنسى انهُ بنى اضعافهُ . ولا اظن اننا نطلع في اكتشاف امور مادية عظيمة الشأن فقد جربنا في الماء وطرنا في الهواء وما عسى ان نفعل وراء ذلك التخطي الهواء الى ما وراءهُ وهل وراء القطب قطب آخر نصل اليهِ . لقد بلغ العلم المادي شيئاً من كل امر وصار عليهِ الآن ان يستقصي ما بلغهُ ويمحصهُ ويبني عليهِ وقد يستنتج منهُ نتائج كبيرة ولكن لا يكون لها وقع في النفوس كأنها امور جديدة غير منتظرة

والإنباء بالغيب ليس سهلاً ولا يكون واضحاً ولكني ارى انهُ لا يتعذّر علينا الانباء بان قوة الانسان ستزيد جداً وعقلاً . كنت اتذاكر مرةً مع السر ميخائيل فوستر (الفسيولوجي الشهير) في ما ينتظر من علم الجراحة الحديث فقال لي انهُ يخشى ان يتعطّل اسعافهُ اذا اخبر عامة الناس بما ينتظرهُ لهذا العلم من النجاح . ولعلهُ قال ذلك لكثيرين من رصفائهِ . فقد صار يسهل على الجراح الآن ان ينزع ما يريد من جسم الانسان حتى من دماغهِ وان يقطع قطعةً من اللحم من جسم انسان ويغرسها في جسم انسان آخر وان يغير شكل الاعضاء واوضاعها . وان يزيد نمو بعض الاعضاء او بعض العضلات . ولا يقتصر في عملهِ على استخدام السكين ونحوها من الوسائل المادية بل يستعمل ايضاً الوسائل الروحية كالاستهواء ويفعل بها افعالاً غريبة . ولو كنا نعرف حقيقة اجسامنا ووظائفها حق المعرفة لاستطعنا ان نصلح انفسنا ونقوي اجسامنا الى درجة تفوق الوصف ثم ان معرفتنا هذه غير كافية ولكنها لا تبقى كذلك

والآن يستطيع المرء منا ان يشتغل شغلاً عقلياً شاقاً او يعمل عملاً بدنياً شاقاً ثلاث ساعات او اربع ساعات على الاكثر وما بقي من الوقت نقضيهِ في الاكل والشرب والهضم والنوم والراحة وما اشبه . ومن المحتمل ان يتجه العلم الى زيادة مقدرة الانسان من هذا القبيل فيصير قادراً على مواصلة الاشغال العقلية والاعمال البدنية ولا يعود مضطرًّا الى الهضم والنوم

والرياضة بل يصير يواظب على اشغاله واعماله اربعاً وعشرين ساعة كل يوم وذلك باصلاح الاجسام والقوى . وعلى المجتمع ايضاً ان تتسع العلوم الادبية والعقلية والاجتماعية وتكسو النفس رداء الراحة والطمأنينة لان الجرائم والشرور والاثام وما يتولد منها ناتجة كلها عن الجهل وقلة المعارف وعدم التعود على عادات الخير والصبر والشفقة

والطريق الذي اوصل الانسان من ظلام الكهوف الى النور الكهربائي هو الطريق الذي سيرشد نفوس الناس الى نور الحقائق وهو تعقّل الامور والتفكير فيها وامتحانها بحرية وبلا خوف وبصبر ومواظبة

وسيصل الانسان الى غرض آخر مع ارتقائه العلمي والفلسفي وازدياد قيادهِ لنفسهِ وضبطهِ لها وهو الغرض الذي تحبّ الفلاسفة من ايام افلاطون الى الآن من اهمال الانسان لهُ وعدم سعيهِ اليهِ فانهُ يصلح نسل خيلهِ وبقرهِ وكلابهِ ولكنهُ لا يهتم باصلاح نسلهِ بل يدع افسد الرجال والنساء خلقاً وخلقاً يلدون الاولاد ويتحكمون بنسل الانسان

يموت الخيّرون الفضلاء عقباء لا اولاد لهم وتدفن كنوزهم في التراب ونحن نفتخر بانّنا جارون على سنة لمزواج تخلّد نسل الاشرار الاغرار . ولكن لا بدَّ من ان تزيد معارف الناس وتقلّ قيودهم حتى يصير كل جيل منهم افضل من الذي قبلهُ وحينئذٍ يدخل نوع الانسان في عصر جديد نسبتهُ الى عصرنا هذا نسبة نور النهار الى الظلمة التي يتكوّن فيها الجنين قبل ان يولد

هذه خلاصة رأي هذا الكاتب في مصير نوع الانسان دعانا الى ذكرها ما رأيناهُ في كتاب الدكتور غستاف لوبون «روح الاجتماع» الذي يأتي ذكرهُ في باب التقاريظ من الشاؤم بمصير الانسان فقد قال في خاتمة كتابهِ انهُ اذا اتمّ الزمان صنعهُ الايجادي في تكوين الامة او الشعب بدأ بصنعهِ الاعدامي الذي لم ينجُ منهُ عابد ولا معبود فتقف المدنية عند وصولها الى حد معين من الشوكة والشعب ومتى وقفت اسرع اليها الانحطاط لا محالة فقد اقتربت الشيخوخة ودنت ساعة الاجل .... فتعود الامة خليطاً من الناس كلٌّ يعمل على شاكلتهِ هناك تنعدم اساطين المدنية وتمسي هدفاً لحوادث الاتفاق وتصير العامة سلطانة في الناس وتبدو طلائع الوحشيين وقد يلوح على المدنية انها باقية في بهائها لان محياها لا يزال يضيء بما اكتسبتهُ الاجيال الطويلة من البهجة والرواء ولكن الحقيقة انهُ بناء اكلهُ السوس وفقد دعائمهُ واستعد للسقوط باي عاصفة . فمن همجية الى حضارة وراء مقصد في الخيال . ومن حضارة الى ازواء فموت حين يضمحل الخيال هذا وراء حياة الامم

وقد يصدق هذا القول على بعض الامم ولعل الامم السائرة جرت هذا المجرى اما الامم الحاضرة فاطباؤها يداوون ادواءها بارتقائها جارين جريا حثيثاً وناموس الكون يقتضي الارتقاء من حسن الى احسن منهُ

اللون الاحمر واللون الازرق

في الصحة والمرض

من المبادئ الطبيعية المعروفة ان اشعة الشمس متى نفذت موشوراً من الزجاج انحلت الى الالوان الاصلية التي يؤلف من مجموعها اللون الابيض فظهرت على شكل قوس قزح فاذا وضع امامها حجابٌ وقعت صورتها عليهِ وتعرف هذه الصورة بالطيف الشمسي . وهي مؤلفة من الالوان الآتية الاحمر اولاً ثم البرتقالي ثم الاصفر ثم الاخضر ثم الازرق ثم النيلي ثم البنفسجي . هذا ما يظهر من الطيف للعين لكنهُ يزيد عن ذلك من طرفيهِ . فلو ادنينا منهُ ثرمومتراً حساساً مبتدئين بالمنطقة البنفسجية وجدنا الحرارة تزداد كلما اقتربنا من المنطقة الحمراء وتستمر الزيادة الى ما بعدها بقليل ثم تأخذ بالانخفاض تدريجاً مما يدل على ان هناك اشعة غير الاشعة الحمراء لا ترى بالعين لكن يُشعَر بحرارتها فقط . ثم لو عرضنا ورقاً فوتوغرافياً حساساً على اشعة الطيف الشمسي وجدنا المنطقة التي بعد اللون البنفسجي تؤثر في املاح الفضة كما تؤثر فيها الالوان التي بين البنفسجي والاخضر اي ان بعد اللون البنفسجي منطقة لا تظهر للعين لكنها تؤثر في الاملاح الفضية

فالطيف الشمسي اطول مما يظهر للعين ولا يرى منهُ الا الجزء المتوسط فقط والوانهُ تختلف في خواصها فما كان منها بين الاخضر والبنفسجي لهُ خواص كيماوية ويؤثر في املاح الفضة وما كان بين الاخضر والاحمر لا تأثير لهُ من هذا القبيل . ويظهر ايضاً ان اشعة الطيف تختلف ايضاً في تأثيرها في الخلايا الحية فقد علم من عهد بعيد ان للنور الاحمر فائدة في معالجة الحميات النفاطية كالجدري فكانوا يلبسون المجدور قميصاً احمر

وقد اخذ بعض الاطباء في هذه الايام يهتمون بالمعالجة بالنور فانهم يضعون المجدورين في غرف حمراء يحجبون عنها الاشعة البنفسجية ولامسها الاشعة التي وراء البنفسجي ويشبهون لذلك اشد الانتباه كما يتنبه المصور لحجب هذه الاشعة عن الالواح الفوتوغرافية ويقوم ذلك بوضع الستائر الحمراء امام النوافذ فلا يدخل الغرفة الا النور الاحمر وتنار الغرفة ايضاً

بمصباح ينير نوراً احمر كالمصباح الذي يستعملهُ المصورون فجاء ذلك بنتائج حسنة الى الغاية لاسيما في الجدري والحصبة . ولا يعرف تعليل لهذه الفائدة فقد قال بعضهم انها ناتجة عن حجز الاشعة الكيماوية اي ان الاشعة الحمراء لا تأثير لها في شفاء هذه الامراض بل منفعتها سلبية فقط وقيل انها تنبه الجهاز العصبي وتزيد الجسم مقاومة للمرض

اما تأثير الاشعة الحمراء في الجهاز العصبي فامرٌ لا ريب فيهِ فانها تهيج الاعصاب كثيراً كما يحدث للثور من رؤية الالوان الحمراء . وفي احد المعامل حيث تصنع الالواح الفوتوغرافية اصيب العمال بتهيج عصبي شديد كانت عاقبتهُ وخيمة وذلك لانهم يشتغلون في النور الاحمر فقط وامتنع ذلك بابدال اللون الاحمر بالاخضر فان هذا لا يؤثر في املاح الفضة كالاحمر لكنهُ اقل منهُ تاثيراً في الاعصاب

والمصورون يعرفون الفرق في تأثير هذه الالوان بالشعور فيستعملون الالوان المفرحة او المحزنة حسبما تقتضيهِ الاحوال فاللون الاحمر دليل الشجاعة والغضب والاصفر دليل الحزن والازرق دليل الهدوء والسكينة

وبعض الاطباء يستعملون اللون الازرق مخدراً فانهم يضعون نوراً حولهُ زجاجة زرقاء على مسافة ١٥ سنتيمتراً من عيني المريض ويضعون على وجههِ وعلى النور منديلاً من الحرير الازرق يحجبون بهِ سائر الاشعة ويبقى المريض فاتحاً عينيهِ فيؤثر النور الازرق في عصب العين ويسبب تخديراً في الدماغ يمكنهم على ما قيل من اجراء العمليات البسيطة التي لا يستغرق عملها وقتاً طويلاً بغير المكلخ الاضراس وما اشبه . وقد نسبوا هذا التخدير الى التنويم المغنطيسي لكن النور الاحمر والنور الاصفر لا يفعلان ذلك ولا بد ان للنور الازرق تأثير خاص في الاعصاب

ويمكن استعمال النور الازرق في معالجة الامراض العصبية المؤلمة كالنفرالجيا وغيرها ولذلك جهاز خاص مؤلف من مصباح تنعكس اشعتهُ عن سطح شلجمي امامهُ حجاب ازرق وبين الاشعة والحجاب انابيب فيها ماء جار فلا ينفذ من الاشعة سوى الاشعة الزرقاء والبنفسجية وما وراءها وكلها مسكنة للاعصاب . ويستعمل بعضهم حماماً لهذه الغاية وهو مؤلف من صندوق يوضع فيهِ المريض ويبقى رأسهُ خارجاً ويدار الصندوق بمصابيح عليها زجاج ازرق

وقد اشاروا على اصحاب الامزجة العصبية المصابين بالنفرالجيا والارق وما اشبه ان يفرشوا غرف النوم بالاثاث الازرق اللون ويضعوا على النوافذ ستائر زرقاء فان ذلك يريحهم كثيراً

باب التقريظ والانتقاد

روح الاجتماع

لصاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول فضل كبير على ابناء العربية يبقى ذكرهُ ما بقيت الكتب التي نقلها اليها . ولا ندري لماذا اختار الآن نقل هذا الكتاب ولا يبعد ان يكون قد رأى حركة الافكار الجديدة في الامم الشرقية وخاف ان تورد موارد كدرة فعرَّب لها كتاباً بيَّن فيهِ كاتبهُ « ان الاثر الصحيح لعمل الجماعات ينحصر حتى الآن في هدم صروح المدنية وان الذين اقاموا صروح المدنية وشيدوا اركان الحضارة نفر امتازوا بسمو المدارك وبُعد النظر ولكننا لم نرَ حتى الآن للجماعات اثراً مثل هذا فهي انما تقدر على الهدم والتحطيم وزمان حكمها زمان بربرية على الدوام ومثل الجماعات في قوتها الهاوية مثل الميكروبات التي تعجل بانحلال الاجسام الضعيفة وتساعد على تحلل الاجساد الميتة (صفحة ١٦) . والفرد يكتسب من وجوده وسط الجمع قوة كبيرة تشجعهُ على الاستمرار في اعماله مما كان يحجم عنهُ منفرداً بالضرورة ثم هو لا يكبح جماح نفسهِ لان الجماعة لا تُسأل عن افعالها لشيوعها بين جميع الافراد فلا يشعر الواحد منهم بما قد يجرُّهُ العمل عليهِ من التبعة وهذا الشعور هو الزاجر للنفس عمَّا لا ينبغي . . . ويتولَّد في الجماعات صفات خاصة مباينة تمام المباينة لصفات كل واحد منهم على انفراده وهي قابلية التأثر . وقد دلَّ النظر الدقيق في احوال الجماعات ان الفرد متى امضى زمناً بين جماعة تعمل لا يلبث ان يصير في حالة خاصة تقرب كثيراً من حالة الشخص النائم نوماً مغنطيسياً بين يدي المنوِّم هناك تتطوَّق القوات الشاعرة تماماً وتفقد الارادة ويغيب التمييز وتتجه جميع المشاعر والافكار نحو الغرض الذي رسمهُ المنوِّم » (صفحة ٣٠ وما بعدها)

من يقرأ هذا الكلام ولا تخطر ببالهِ المواكب والجموع التي كانت تسير في شوارع هذه العاصمة وساحاتها في هذا العام والذي قبلهُ وفيها الناس لم يكن يصدَّق انهم يتركون سلطان العقل ويخضعون لسلطان الاهواء . من يقرأ هذا الكلام ولا يخطر ببالهِ ما فعلتهُ الجماعات من اهانة القضاء باختطافها بين حكم عقلاء الامة انهُ مجرم وسيرها في موكبهِ الى السجن كأنهُ عائد من الظفر في حرب كانت تتهدَّد البلاد بالخراب . رأينا ذلك وعرفنا

سببهُ وهو الاستهواء العام الذي اشار اليهِ المؤلف هنا ولكننا لم نرتب في ان زمان السكرة لا يطول ثم يعقبهُ الصحو التام. ولقد طال اكثر مما كنا ننتظر ولكننا لا نخشى ان يؤدي الى ما تتشاءم منهُ المؤلف وهو الهدم والتحطيم. نعم «ان الذين قويت شخصيتهم فاستعصوا على الانفعال وسط الجماعة قليلون ولا طاقة لهم بمصادمة تيار الجمع بل الذي يقدرون عليهِ هو تحويل الاندفاع الى غرض آخر» ولكن القليلين يسندهم الحق والمصلحة العامة والناموس الطبيعي القاضي ببقاء الاصلح وما ينفع الناس وذهاب الزبد جفاء ولذلك سيكون الفوز لهم اخيراً. ولولا هذا الامل لحبطت كل المساعي ولما اهتم فتحي باشا بترجمة هذا الكتاب

هذا ويليق بكل واحد من الذين ساروا في تلك المواكب ان يطالع هذا الكتاب بالامعان فيرى ان الجماعات تكون العوبةً في يد المهيجات الخارجية وان لا شيءَ من افعال الجماعة يصدر عن قصد وروية وانها تأخذ الخيالات التي تمثل لها حقائق ثابتة ومشاعرها تضاد الترقي

والكتاب يرمي الى ايضاح امور أخرى منها خطأ شهادة الشهود ولاسيما اذا كانوا كثاراً وشهدوا على اسلوب واحد لا لانهم يقصدون الكذب والخداع بل لانهم يكونون مخدوعين على غير قصد منهم ومنها كذب التواريخ ولاسيما ما تمازجهُ امور نفسيةٌ او اعتقادية ولذلك فالشك كل الشك في الوقائع التي رواها الجم الغفير. والقول بان الامر شوهد في الزمن الواحد من الوف من الشهود هو في الغالب قول بان الواقع يخالف كثيراً ما اتفق اولئك الشهود عليهِ. وينبغي النظر الى كتب التاريخ كانها كتب املاها الخيال لاحتوائها على روايات وهمية لحوادث اصطحب بالشك وقوعها تحت الحواس واردفت بشروح متأخرة عنها

ومنها ايضاح خطإ الناس من حيث تأثير التعليم وهو امر هام جداً ولاسيما في هذا القطر حيث صار الناس يتوقعون من التعليم اكثر مما ينتظر منهُ. قال المؤلف (صفحة ١١١) «من الافكار السائدة في هذا العصر ان في التعليم قدرة على تغيير الرجال تغييراً محسوساً وان نتيجتهُ التي لا يشكُّ فيها هي اصلاحهم بل ايجاد المساواة بينهم. ذكروا ذلك وكرروهُ فصار احد المذاهب الثابتة واصبح التعرُّض لهُ من اصعب الامور ولكن ارآءهم في هذا الموضوع متناقضة كل المناقضة لما اثبتهُ علم العقل ولما دلت عليهِ التجارب. فما اثبتهُ الكثيرون من كبار الفلاسفة بلا عناء خصوصاً هربرت سبنسر كون التعليم لا يزيد في تهذيب الانسان ولا في سعادتهِ ولا يغير من غرائزهِ وشهواتهِ التي تلقاها بالوراثة وانهُ اذا ساء طريقةً كان ضررهُ اكبر من نفعهِ. وايد علماء الاحصاء هذه النظريات فقالوا ان الميل الى الجرائم يزداد

بانتشار التعليم وان الله اعداء الهيئة الاجتماعية وهم الفوضويون يسلّون غالباً الى مذهبهم ممن حازوا السبق في المدارس . وقال المسيو ادولف جيو وهو من اعاظم القضاة انهُ يوجد الآن (في فرنسا) من كل اربعة آلاف مجرم ثلاثة آلاف من المتعلمين والف واحد من الاميين وان عدد الجرائم زاد مدى خمسين سنة من ٢٢٧ جريمة لكل مئة الف نسمة الى ٥٥٣ جريمة ولاحظ ايضاً هو ورفقاؤهُ ان الجرائم تكثر بين الشبان الذين ابدلوا تعلُّم المهن على يد العاملين بها بتعلمها في المدارس الاجبارية المجانية ... والمدرسة لا تزيد رجالاً قادرين على الحياة وانما تخرّج عمّالاً لوظائف يضج فيها الانسان دون ان يهتم بقيادة نفسهِ فهي توجد من اسفل سلم الهيئة الاجتماعية جيوشاً من الصعاليك المتمعضين المتهيّئين دائماً للثورة وفي اعلاهُ طبقتنا الوسطى التي تعتقد بقدرة الحكومة وهي مع ذلك لا تنفك عن القدح فيها والتي تتخطى ثم تؤاخذ الحكومة بما اخطأت والتي لا تقدر على القيام بعمل لابد للحكومة فيهِ

« اما الحكومة التي تصنع حملة الشهادات فلا يسعها ان تستصنع منهم الاَّ القليل وتترك الباقين بلا عمل فيحتشد ذلك الجمع العظيم من جملة الشهادات يحاصر جميع الوظائف من القمة الى القاعدة .... اما التخارب وهي آخر مرب للام فقد برهنت لنا على انهُ يجب ان نتبع طريقة التعليم الفني العملي الذي يردُّ اولادنا الى المصانع والمعامل ونحوها التي يجتهد اولادنا في الهرب منها . وهذا التعليم الفني الذي تطلبهُ الآن العقول النيرة هو الذي تلقاهُ آباؤنا وهو الذي حافظت عليهِ الامم التي تحكم الدنيا » (يريد الانكليز) انتهى باختصار

وفصل التعليم هذا مسهب يليق بنظارة المعارف ان تتروى فيهِ جيداً وحبذا لو توخت تدريس هذا الكتاب كلهِ في مدارسها فانهُ يفيد التلامذة والاساتذة ايضاً من وجوه كثيرة

المعلوم والمجهول

لولي الدين يكن

المعلوم والمجهول كتاب نظمهُ دُرَر ونثرهُ غُرَر . حبّرتهُ يراعة شاعر ان نظم وان نثر . جمع فيهِ فصولاً من اخبار الاستانة ومصر لم يرو مثلها الاصمعي بل عبراً من عبر الدهر قلما وقع مثلها للسروجي . لكنهُ سلك فيهِ مسلكاً كثير الوعور والمزالق . واستهدف لسهام اللوم اذ ذكر اشاعات كثيرة كأنها حقائق . فنترك ذلك ونذكر طرفاً مما رواهُ عن نفسهِ وذويهِ قال من حديث جرى لهُ في بيت عزت العابد في الاستانة وكان قد دعاهُ الى الطعام

« ناولني عزت كاساً وقال لي : قل فيها شعراً ثم اشربها . قلت لم استصحب معي شيطاني

ولا ادري ان كان يهتدي الى موضعي فيأتيني ام يدعني الليلة اخرس لا انطق بشيء. وبعد القصة اننا امسينا راحنا وللنا طعامنا ثم خرجنا الى الحجرة التي دخلناها اولاً . فاخرج عزت من جيبه ورقة بها قصيدة (اضنها للفاضل النبهاني) فاشار الينا ان اصغوا وراح ينشدها علينا فسمعت شعراً غير جيد ولكنني آثرت السكوت ولم اعب منهُ شيئاً . فقال عزت

— هذا رجل من رجال ابي الهدى . ولكنهُ صُلي بنارهِ . فلجأ الى ركني وانا حميتهُ لكاية بأبي الضلال . آه ماذا اقول لكم ايها الاخوان . اقاني الله من خدمتك يا سلطان يا عبد الحميد وأذهب الله عني كل عز نلتهُ على يديك . قولوا يا الله آمين . فقال الحاضرون : حاشا لله ان يجيبك الى طلبك . هذا دعاء لن يتقبلهُ منك الله . وكم عند مولانا السلطان مثلك من صادق يحبهُ ويفتديهِ بحياتهِ

قال — هذا الذي سيجلب عليَّ البلاء . انا والله احبهُ واهابهُ واعلم ان محبتي لهُ مهلكتي . ثم اية لذة اجدها في حياة كلها خوف ونصب . الناس اذا امسوا رجعوا الى بيوتهم . فعاشوا بين اهلهم واحبابهم . وانا كالضيف في بيتي . لقد انزع عني ثيابي واذهب الى فراشي فلا امهل ان تأخذني سنة من نوم الاَّ والرسل لتبع الرسل يتعجلونني ذهابي معهم الى القصر . فاذهب وانني راغم . وكثيراً ما يكون استدعائي لامر غير ذي بال او ليسألني سؤالاً لا يفيدهُ شيئاً . فأظل هنالك ساعات طويلة . وحين اهم بالعودة الى داري اجد الليل وقد نزع جلبابهُ وتصل اهابهُ قابق بالقصر ولا اعود الى مساء اليوم الثاني . والناس يحسبون عزت العابد رافلاً في حلل السعادة بالغاً من العز منتهاهُ . تعالوا انظروا وحدتهُ في حجرتهِ وكيف تجري مدامعهُ ثم احسدوهُ اذا شئتم

قلت — يا سيدي هذه حالك من دون المقربين ام كلهم كذلك معذبون ؟

قال — الشكاية على قدر الاعباء . اما المصيبة فموزعة بيننا على السواء . انت تخرج من هنا وتذهب الى بيتك فتجلس الى اهلك او صحبك واذا شئت خرجت الى معاهد اللهو وصنعت كل ما تشتهيهِ نفسك . لا يعارضك في ذلك معارض . فمن من رجال القصر يقدر ان يذهب حيث تذهب . ومن منهم يجد متسعاً في وقتهِ ليأنس الى اهلهِ او من يحبهم ولو كان مرة واحدة في الاسبوع . هذا ما لا يحلم بهِ احد منا . ولولا مرضي لما وجدت الى هذه الراحة سبيلا . وقد ازف الوقت وبلغ السيل زباهُ . فاستأذنا من مضيفنا في الذهاب وسلمنا عليهِ وخرجنا . ثم ودعت مصطفى ظافر ورجعت الى بيتي . فلما خلوت الى حجرتي اشعلت سيجارتي وجلست ادخن بها واتفكر فيما رأت عيناي وسمعت اذناي

فقلت : وبل لهذا السلطان يقيم خاصته على ابوابه كرهاً لا رضاء . ولو امنوا غدره لولوا من قصره طالبين نجاتهم : هذا عزت العابد . اهل الاستانة وسائر اهل الاقطار العثمانية يحسبونهُ في نعمة ليس وراءها مطمع . كلٌّ يتمنى لو نال اقل ما نال هو من عز باهر وسلطان قوي . وها هو الساعة امامي تكاد عبرتهُ تسبق كلامهُ »

وقال وقد عاد اخوهُ الى مصر ونشر فيها جريدة اسمها الانذار . « جاءني ذات يوم صديقي الكاتب التركي الفاضل س . ت بك وقد كان يحرر القسم التركي في بعض جرائد الاستانة ثم عين في الخزينة الخاصة واخذ يلتمس العبارات ليؤدي بنا الحديث الى سفر اخي فلما اعياهُ الطلب ورأى كثرة المتدسات تفصلهُ عن الصدد انتضب الكلام انتضاباً فقال

— انا اعرف انك لا تحب من اخيك ان يكتب شيئاً فيهِ ذم للسلطان . ولا يمكن ان يسافر اخوك من نفسهِ طلباً لاصدار جريدة في هذا السبيل . ولا بد ان يكون ارسلهُ قوم ممن لهم بمصر مقاصد يطاردونها وهذا ما لا يفعلهُ الاَّ آل ظافر . فان قلت ان الشيخ الكبير لا يعنيهِ من امر الجرائد شيء وانهُ بخيل لا يجود بالدرهم ولو كان فيهِ طول عمرهِ . قلت لك نعم ولكن ابنهُ مصطفى ليس كذلك . فهو ابو المشاكل وكل ما يلاقيهِ ابوهُ هو منشأهُ . ولو سلك مصطفى طريق ابيهِ وترك مضاوات الرجال واغضى عما يبادئهُ بهِ اعداؤهُ لانقلبوا لهُ اصدقاء . والآن وقع ما وقع وقضي الامر . فان كتموك ما دبروهُ بالامس فما احسبهم يكتمونك اليوم وهم يعرفون منك فرط الحياء والتمسك بالود . ولئن فعلوا فانت قادر على استيضاح ما تريد بان تتوعدهم . فاذا فعلت ذلك لم يجدوا بدّاً من بيان ما اغمض عليك

قلت — يا فلان هذا كلام حسن الاتساق ولكن الفائدة منهُ منعدمة . فاذا تريد ان تقول ؟ قل واوجز ودع هذه الخطبة الى وقت آخر

قال — ما اراني خاطباً . ومجمل الامر اني موجهٌ اليك من احد المقربين ولا استطيع ان اذكر لك اسمهُ جرياً على ما اتفقنا عليهِ . وهو يريد ان يعلم الآل ظافر شأن في سفر اخيك ام لغيرهم

قلت — يا فلان اراك رضيت لنفسك صناعة كنا نذمها معاً . فان كنت بدلت برأيك السابق غيرهُ فاني لا ازال على قديمي ولا اسديك نصحاً في الرجوع الى سابقك . فذلك لهُ اول وليس لهُ آخر . ومن اوقعهُ سوء الحظ في مجاهل ضاقت عليهِ المسالك ولم يجد الى الهداية سبيلاً . اذهب الى من زودك رأيهُ واعارك لسانهُ فقل لهُ اني اخو يوسف حمدي يكن . ولكنني لا اعرف من فؤاد الاَّ ما يبديهِ لي . اما آل ظافر فقد كان مصطفى معي . وهو

اول من جاءني معاتباً وهو اول من طلب اليَّ استرجاع عفوي . فخرج صاحبي يجرر فضول اذيال الخزي وكان ذلك آخر عهدي به

والى هنا نفد الصبر . فرأيت ان لا اصبر على الضيم الطويل . فأقمت اتدبر فيما يفتح لي ابواب النجاة لأخرج من هذا الوطن . لعلي اجد في البلاد الحرة من يسمع رثائي حين ارثيه . فجرت هذه الابيات على لساني وتمثلها قلبي . فجعلت اردّدها طول ليلتي . واني لذاكرها في هذا الفصل عسى ان يكون في القراء من يحب كلام الشعراء حين تحترق قلوبهم وتمازج دموعها حسراتهم قلت : وهنا ذكر المؤلف قصيدة طويلة عامرة الابيات وممّا قالهُ منها

ألا مرشدٌ لي بعد ما ضلَّ من عقلي ... أأندب ام لا يحسن الندبُ من مثلي
تندمت لا اني تورطت ذلة ... ولكن لاني ما رميت على الذلّ
يعاتبني قلبي على ما فعلتهُ ... فاسكت عنهُ بالذي كان من فعلي
ولو احد قبلي بشفوتهِ ارتضى ... رضيت ولكن ما ارتضى احد قبلي

***

يهددني بالقتل من ليس فاعلاً ... ويأتيهُ يوماً يُمكّن من قتلي
فأجتاز دهراً خيرهُ مثل شرهِ ... واخلص لا ابكي لهجر ولا وصلِ

***

سئمت تكاليف المعالي ولا ارى ... لاهل النهى بين التكاليف ما يعلي
بلى وازدهتني كبرة عن طلابها ... غداة استوى فيها اخو الجد بالنذلِ

***

وما مُسلَّمٌ للموت بين عداتهِ ... يقاد لهُ قرد الجبينة بالحبلِ
غريب لهُ اهل يرجّون اوبهُ ... كما آب من نأي سواه الى الاهلِ
توافوا بهِ للنار اذ كوا ضرامها ... واوقدوا لها بالرضف والحطب الجزلِ
باعظم مني لوعة بمعاشر ... هم نوقروا متني وهم قيدوا رجلي
مضى كل شيء كان للنفس سلوة ... ومذهي البقايا لا تعزي ولا تسلي
اعيذك يا ارض الاساود ان يرى ... بك الماء غوراً غير ري ولا ضحلِ
وان تنبتي ما ليس تجني ثمارهُ ... وان تغشاك السحاب بلا وبلِ

وعرفت حينئذٍ ان مقامي في ارض مسبعة . فما راعني الاَّ شيطان من ابي الهدى يحرّى

على البلاد ويأبى ان يراني ضارباً بين اضواحيها واجزاعها . واني مصطفى ظافر ليلاً . فرأيت الفزع بادياً على وجهه . فقلت :

— ما وراءك ؟ قال — قامت القيامة علينا وعليك . ابو الهدى اوعز الى احد الجواسيس واسمه (ضيا) نرشي الى السلطان ان بالاستانة جمعية خفية تعمل على الفتك به والانتصار لاعدائه . وان رئيس هذه الجمعية هو المشير فؤاد باشا واني ورضا بك (هو الآن رضا باشا نزيل مصر) والشيخ احمد شفيق امام اغا دار السعادة (هو الآن نائب عكا بمجلس المبعوثان) ومحمود افندي نديم (آخر وظيفة لهُ هي متصرفية قره حصار التابعة لولاية سيواس) اعضاء هذه الجمعية وانك انت قلم الجمعية تنشر بجرائد مصر ما نحن نتفق عليه ثم تأتي هذه الجرائد باسمك الى ادارة البريد الفرنسوي فتوزعها علينا وعلى من يقول برأينا . وقد اخبر الجاسوس ان بادارة البريد طروداً من الجرائد جاء باسمك من مصر . فانفذ السلطان احد رجاله ليأخذ لهُ ذلك الطرد فاتى البريد ان يسلمهُ اياهُ . هنالك كلموا سفير فرنسا المرسيو توفستان . فأمهم البريد ان يسلم الطرد وان يسلم ايضاً كل طرد ترتاب فيه حكومة السلطان . وقال : نحن لا نريد ان يكون بريدنا واسطة في دخول الفسائس الى البلاد العثمانية . ولما نظروا الطرد وجدوهُ مكتوباً باسمك . فظهر صدق الجاسوس . واليوم اخذوا الشيخ احمد شفيق الى نظارة الضبطية وتولى النظر وقدري بك رئيس الجواسيس استنطاقهُ . وقد بادر محمود نديم الى يلديز واخبر عبد الحي (اغا دار السعادة) وعبد الحي بادر الى السلطان شاكياً باكياً وقال ان اعدائي يريدون اغتيالي وقد اخذوا إمامي وربما لحقهُ السوء ظلماً وعدواناً . فصدرت ارادة السلطان باستدعاء الجميع الى يلديز والاستمرار على التحقيق هنالك

وقد كان ابو النصر يحيى السلاوي عندنا في يومنا هذا . فاخبرنا ان شفيق باشا ناظر الضبطية وقدري بك رئيس الجواسيس دعياهُ الى النظارة وسألاهُ عما يعلم عنك . فقال لهم : انهُ يعرفك كما يعرفك سائر رفاقك الذين معك بنظارة المعارف . فقال لهُ قدري بك : — وهل يكتب ولي الدين فصولاً في ذم السلطان ويبعث بها الى جرائد الاحرار بمصر ؟

فقال السلاوي — لا علم لي بذلك . واذا كان ولي الدين يكتب فصولاً كما ذكرت انفا يخاف على نفسهِ العقاب حتى يطلع الناس عليها ؟ وهل علمتم عليهِ شيئاً من هذا القبيل ؟

قال قدري بك — كلا . وانما نسألك لتعرف ذلك منك . فاما وقد ذكرت انك لا تعرف شيئاً من اسراره فلا حاجة الى زيادة الاسئلة . ونحن نوصيك ان لا تخبر ولي الدين

بشيء مما جرى لك معنا . فاجابهم السلاوي الى طلبتهم وانصرف

قلت لمصطفى ظافر — ومن ضيا هذا الذي تذكرهُ واين هو الآن :

قال — هو رجل اظنهُ من ازمير وهو الآن في (يلديز) لا يريدون ان يطلقوا سراحهُ حتى يتم التحقيق ويظهر صدقهُ من كذبهِ . وقد بادرت اليك مخبراً بما وقع فكن على حذر

قلت — وما ينفع حذري الآن . وهل تحسب القوم يغفلون عنا بعد ان بلغهم عنا ما بلغهم . وما لي من حيلة سوى انتظار ما سيجري بهِ الاقدار

ثم مضى على هذه الواقعة نحو الاسبوع . فاتصل بي بعد ذلك ان الذين تولوا تحقيق القضية قالوا للجاسوس : — من اين عرفت ان ولي الدين اتفق مع من سميتهم على ان يكتب الى الجرائد في ذم السلطان ومن اين لك ان هذه الجرائد ستأتيهِ او هي التهُ وانها محفوظة بادارة البريد الفرنسوي

قال — كنت ذهبت الى الباب العالي . فرأيت الشيخ اسعد شقير ومحمود نديم وولي الدين خارجين من شورى الدولة . وكانوا عند مصطفى ظافر . فجعلت اشي خلفهم واستمع ما يقولون فوعيت كلامهم كلهُ ولم اضع منهُ حرفاً واحداً

قالوا لهُ — صف لنا ولي الدين

قال — هو رجل عظيم الجثة . لهُ لحية شقراء وعينان زرقاوان . فلم يمهلوهُ الى ان يتم كلامهُ . وهنالك هددوهُ احد رجال القصر بالويل والثبور اذا لم يعترف بالحقيقة . وتركوهُ وحدهُ في حجرة ليتمعن في ما هو صائر اليهِ . فهالهُ الامر واحسَّ بالشر وايقن ان لا خلاص لهُ مما وقع فيهِ . فطلب ان يعيدوهُ الى المحققين . فلما مثل بين ايديهم قال : — ان ابا الهدى عرض عليَّ كتابة تقرير اتهم بهِ من عرفتم اسماءهم واعطاني ثلاث ورقات من اوراق البنك العثماني قيمة كل واحدة منها خمسة جنيهات وكل الذي سمعتم مني لتنبيهِ ابو الهدى . وانا رجل فقير ولي حاجة شديدة الى اقل من هذا المال . فطلبتني الحاجة فانجزت ما اراد . فلما سمع المحققون كلام الرجل ورأوا اوراق البنك باعينهم . ابلغوا السلطان ما وقع فامر بكتمان الامر . كل هذا جرى ولم أعلم بهِ الاَّ بعد ان جرى

ولما علم فؤاد باشا بالواقعة قصد الى يلديز وبينما هو يريد الصعود الى عند الباشكاتب التقى بأبي الهدى في طريقهِ . فتقدم نحوهُ وبادرهُ بالشتم وكاد يرمي بهِ تحت قدميهِ لولا تضرعهُ وبكاؤهُ . فأمسك عنهُ فؤاد باشا وقال لهُ :

انا بمعزل عن هذا القصر وعن مطامعه وليس لي وإياك شأن فاذا انت لم ترعوِ وحدثتك نفسك بالعودة الى مثل فعلتك هذه رميتك على الارض ووطأت رأسك بقدمي . ففارقه ابو الهدى وهو لا يصدق بالنجاة

هذه بعض النوادر وبعض العبر من هذا الكتاب المستطاب وياحبذا لو خلا من بعض المغامز

الحديد في مصر

DISTRIBUTION OF IRON ORES IN EGYPT
By W. F. Hume, D. Sc., F. G. S.

اهدت الينا مصلحة المساحة المصرية تقريراً في هذا الموضوع بقلم الدكتور هيوم مدير القسم الجيولوجي بحث فيه عن توزع الحديد في شبه جزيرة سينا وصحراء مصر الشرقية والواحات والنوبة وبعض انحاء السودان والحبشة وذكر انواع فلزات الحديد في هذه الاماكن واسماءها وتحليلها الكيماوي . ومما جاء في هذا التقرير ان المغرة[1] كثيرة في الواحات البحرية والواحات الداخلة والخارجة لكن فائدتها التجارية والصناعية لم تتحقق بعد والحديد كثير في سينا لكن نفقات نقله في ترعة السويس ربما تقف في سبيل تصدير حجارته الى اوربا . اما المناجم الاخرى فاكثرها بعيد عن الموانئ البحرية والوقود قليل في جوارها فثمن الحديد المستخرج منها قد لا يفي بنفقاته

زوبعة البحر

اسم لرواية من روايات شكسبير اعظم شعراء الانكليز نقلها الى العربية حضرة الشاعر الناثر محمد بك عفت احد قضاة المحاكم الاهلية سابقاً وجعلها كلها نثراً الا ما ندر ومن ذلك ترجمة الابيات المقفاة التي ختمت بها الرواية . ويظهر لنا انهُ توفق في نقل معاني المؤلف مع ان ترجمة الاشعار وما جرى مجراها من لغة الى اخرى من اصعب الامور ولاسيما اذا كانت اللغتان مختلفتين جدًّا في اساليبهما كالعربية والانكليزية

اما طبع الرواية فغير حسن مع جودة ورقها وقد وقع فيه خطأ مطبعي كثير وقلما ضبطت منها كلمة بالشكل

---

(١) المغرة (ochre) طين يصبغ بهِ وهي لونان صفراء وحمراء فالصفراء يدخل في تركيبها هيدرات الحديد والحمراء سكوي أكسيد الحديد

تساوي الناس

سيدي منشئ المقتطف الفاضل

قد جاءني جزء عشرين الاخير من المقتطف فتلقيته بكل سرور كعادتي وطالعته بكل امعان وتروٍ فاتيت على مقالتكما « الناس اخوة » فاعجبني ذلك الموضوع لما يترتب عليه من المنفعة العامة للقراء ولكني استغربت المنهج الذي نهجتماه في شرح ذلك الموضوع والتمهيد الذي مهدتماه للحصول على تلك المنفعة العامة . ولم أكن لاستغرب ذلك الشرح لو لم يكن صادراً عن فيلسوفين مثلكما لاني قرأت كثيراً مثله من قبل فلم اعتد به ولم انظر اليه بعين الانتقاد لاني لم أكن على يقين ثابت بكفاءة كاتبيه من العلم الصريح وبما ان اعتقادي عظيم بغزارة علمكما واتكما تعلمان الحقيقة جئت انتقد على ما قلتماه هناك لانه غير مطابق للحقيقة او على الاقل ليس مدعم بالبراهين الكافية فاقول :

أني لا انتقد على قولكما ان الناس اخوة بل از يد على ذلك بقولي ان الوجود كله من اصل واحد. ولكن انتقد على نفيكما التفاضل من بين الناس وقولكما انهم كلهم متساوون بالفطرة . وعلى تحاملكما على اصحاب مذهب النشوء في تنازع البقاء وبقاء الاصلح والقاء اللوم على عناء الطبيعة لعدم وضعهم حداً لذلك المذهب واستنجادكما رسل الخير دعاة الاديان على سد ذلك الخلل واقناع الناس بالمساواة

ولقد اثبتما في صدر تلك المقالة بن الجفاء والخشونة في طبع الانسان وان الجفاء اقدم من الخشونة ولكن لم تبرهنا للقراء كيف تولد الخشونة من الجفاء ولا كيف نشأ اولئك الافاضل الذين يقيمون الادلة على ان الناس اخوة وانهم متساوون من بين اولئك الذين يقيمون الادلة على ان الناس غير متساوين في الفطرة . وبينما انتما تودان ان تقنعا القراء بالمساواة تذكران لهم فرقتين من الناس هما على طرفي نقيض وكل منهما على مذاهب ودرجات مختلفة . فيجب على الذي يقول بامكانية امر ان يجريهُ ويظهرهُ بالفعل . فكيف تستطيع ان تصدق اول اي كان في ان الناس متساوون ونحن نرى بالفعل ان مساواة شخصين فقط من رابع المستحيلات فلو كان كل

الناس متساوين كما ذكرتما لما كان من داعٍ الى انشائكما المتحف لافادة القراء ولا كان من داعٍ الى ان تجهدا نفسيكما في اقناعهم ايضاً لانهم انفسهم قد يكونون على بينة من ذلك . وبالحقيقة اني لا استطيع ان افهم ماذا قصدتما بتلك المساواة لان كون الناس اخوة لا يوجب عليهم ان يكونوا متساوين وعدم مساواتهم امر بديهي لا يختلف فيه اثنان فالرجل قد يولد لهُ عشرة اولاد وكل منهم على اختلاف تام عن اخيهِ اما بالصورة او بالقامة او المعرفة او الفصاحة او الشجاعة او اللطف او الجفاء الى ما لا يمكن حصرهُ وهذا الاختلاف في العائلة الواحدة وفي العالم اجمع هو السر في النمو الطبيعي والارتقاء ولا يكون ارتقاء بالمساواة مطلقاً بل بالتفاضل . فالعبودية التي ظن العالم المتمدن انها انتفت منذ اطلاق الحرية والتي قد اسفنا على ظهورها بصورة جديدة فهي لا تزال ولم تنتفِ الاَّ بالاسم فقط فهي كانت وكائنة وتكون وسوف تبقى ما بقي هذا العالم لانها نتيجة ذلك التفاضل ولا تستطيع ان تنفيها العلوم الطبيعية ولا الاجتماعية ولا الدينية . فالعلوم الطبيعية تعلمنا ان تباين الحالات والتفاضل هو السر في كيان هذا الوجود . والعلوم الاجتماعية تعلمنا ان الجميع ليسوا على السواء في حالاتهم ومراتبهم فالملك والوزير والقائد والضابط والبوليس والعامي ليسوا على السواء والعلوم الدينية تعلمنا ان التفاضل بين الناس امر من قبل الله . فرصل الخير دعاة الدين الذين تستجدان بهم هم غير قادرين ان يبرهنوا المساواة وهم لم يعتنقوا ذلك الدين الاَّ لاعتقادهم انهُ افضل الاديان ولو لم يعتقدوا ذلك لما انتسبوا الى دين معين فكيف يستطيعون ان يثبتوا المساواة اذاً

واما تحاملكما على اصحاب مذهب النشوء واللوم عليهم لعدم وضعهم حداً لذلك المذهب فهو في غير محله لان حضرتكما من اعظم انصاره كما يظهر جلياً من كتاباتكما الكثيرة . واللوم على عدم وضع حد لذلك العلم هو في غير محله ايضاً لانهُ لا يمكن ان يوضع حد لما لا يعلم لهُ حد . وقد سألت حضرتكما في جزء آب الغابر هل لناموس الارتقاء حد يقف عندهُ او هو سائر الى ما لا نهاية لهُ فكان جوابكما لا نعلم ولا نظن احداً يدعي علم ذلك . فاذا كنتما لا تستطيعان ان تحدا ذلك العلم فلا حق لكما ان تلوما غيركما على ذلك ارضاء للرأي العام ولا ارى من الحق ان تلوما الفيلسوف نيتشه على مناداته باطلاق يد الطبيعة والجري على مقتضى نواميسها والطبيعة في مصدر الكون فاذا كنا لا نتبع المصدر والاساس فاذا يجب ان نتبع . وما المنفعة من اعتنائنا بالضعفاء والمرضى والزمنى والاشرار والمجانين ومقلقي الراحة وكل ما هو ضد الفضيلة والراحة ونحن نرى الاصحاء والاقوياء يتقرضون بالموت والموت آخرة كل حي . نجهد عقولنا لايجاد الادوية لشفاء الامراض ونستنبط الوسائل لانقاء المكروب ونحن في

الواقع تزيد المرض شيوعاً وتستثبت المكروب وكان لنا غنىً عن كل ذلك لو جرينا على مقتضى الطبيعة

واما تحسين النسل كما يروم السر فرانسس فلتن وتوافقان عليهِ ايضاً فهو ضرب من المحال او ما يقرب منهُ . لان ليس محبة الا محبة الذات واذا حللتها اعظم محبة في العالم وجدتها ان اصلها محبة الذات فاذا عرفنا ذلك كيف نستطيع ان نصدق ان الضعيف يضحي اعظم لذة ورجاء لديهِ لنفسة العالم بالرضى منهُ

واما توثيق عرى الحب والاتحاد بالتزاوج كما ذكرتما فانهُ حسن ولكنهُ لا يكون الاَّ بين طائفة واحدة او بين ابناء مذهب واحد ولا يكثر استعمالهُ الاَّ متى رسخ العلم الصريح في اذهان الناس ونفوا عنهم جميع الخرافات والاعتقادات واذ ذاك يكون العلم وحدهُ كافياً لاغناء ذلك الغرض غرض الحنو والمحبة والاخاء فضلاً عن الاختلاط وتبادل العلائق

ولا اظن حضرتكما قادرين ان تجريا على مقتضى ما ذكرتما من امر التزاوج ولا يمكن ان يسمح احد كما لابنتهِ ان تقترن بأي كان من الناس ولا لابنهِ ايضاً بل يجهد عقلهُ ويتعب جهدهُ لكي يجد لها ولهُ الكفوَّ المناسب فاذا كان كذلك فاين المساواة اذاً واذا كان بخلاف ذلك فيجب عليكما ان تثبتا ذلك وحدرتهُ عموماً بدون التباس

هذا ومع اني منتقد لنا احب ان اكون مستفيداً ايضاً واعتقد ان حضرتكما تطلبان اضعاف ما ذكرت هنا فاكون بغاية الامتنان اذا تكرمتما بالافادة والبرهان على ما ذكرتما هناك

الداعي

شحاده خليل مالك

[المقتطف] لو كرر حضرة المنتقد الكريم قراءة المقالة التي انتقدها لاستغنى عن هذا الانتقاد على الراجح ولكفانا مؤونة الشرح لانهُ بنى انتقادهُ على ما اعتقد انا قلناهُ ونحن لم نقلهُ بل قلنا ما يضادهُ وعلى ما استنتجهُ من قولنا وقولنا لا ينتجهُ بل ينتج ما هو ضدهُ

قال اولاً انا نفينا التفاضل من بين الناس وقلنا انهم كلهم متساوون بالفطرة . ولا ندري اين وجد ذلك في كلامنا او كيف استنتجهُ منهُ . وكلمة متساوين او مساواة لم ترد في كلامنا مطلقاً وانما وردت في آخر المقالة في كلام الذين نعترض عليهم كأننا قلنا بلسانهم « حيث ان الناس غير متساوين كما هو مسلَّم بهِ منا ومنكم فاذا ساويتا بينهم اليوم اختلفوا غداً » فلعلك عن ان كل ما قلناهُ في تلك المقالة يرمي الى ان الناس غير متساوين حتى « الطوائف الراقية متباينة ايضاً في درجات رقيها » كما قلنا . وقولنا ان الناس اخوة لا يوجب كونهم

متساوين في كل شيء لان اجهل الناس يرى انهم غير متساوين ولو كانوا من اب واحد وام واحدة ثم انهم متساوون لدى القانون ولكن هذا امر آخر ليس كلامنا فيه فلا محل اذاً للاعتراض الاول . واما قولنا ان الناس من طينة واحدة ولا يمتاز بعضهم على بعض الاَّ بالفضائل المكتسبة فظاهر الامر انهُ اطلاق شعري ولكنهُ لا يخالف الحقائق العلمية عند ارادة التدقيق

وقال ثانياً اننا لما علماء الطبيعة لعدم وضعهم حدّاً لمذهب النشوء . ونحن لم نتهم لانهم لم يضعوا حدّاً لاسيما وانهُ فهم بالحد النهاية التي يقف النشوء عندها كما يظهر من آخر انتقادهِ بل لانهم تركوا مذهب بقاء الاصلح على اطلاقهِ اي لم يوضحوا المعنى المراد من بقاء الاصلح فان كلمة بقاء الاصلح هي ترجمة الكلمة الانكليزية survival of the fittest فقد يكون اللص الماهر في السرقة اصلح الناس للعيشة واخلاف النسل في بلاد يعيش اهلها بالسرقة فهل مصلحة نوع الانسان تقتضي ترك اللصوص يعمّرون في الارض ويتناسلون فيها لانهم اقوى من غيرهم واقدر على المعيشة . والفلاسفة المنقطعون للدرس والبحث اقل صلاحية من غيرهم للعيشة في بلاد الحول والطول فيها للقوة البدنية او للمهارة في ري السهام او اطلاق البنادق فهل ينبغي التغاضي عن الفلاسفة ليتقرضوا هم ونسلهم جريّاً على ناموس بقاء الاصلح في تلك البلاد . وقس على ذلك الطمع الاشعبي في الكسب فانهُ اصلح من غيره في اكثر البلدان ولكن ليس من مصلحة نوع الانسان ان يقوى هذا الخلق في بعض الناس حتى يستأثروا بالاموال كلها . ولذلك فبقاء الاصلح واجب لارتقاء نوع الانسان اذا قيد الاصلح بانهُ الافضل والانفع للنوع كلهِ بنوع عام

هذا واننا لما كتبنا تلك المقالة كنا نفكر في طريقة تجمع بين الاجناس العثمانية حتى تصير كلها امة واحدة بعد المذابح الفظيعة في بر الاناضول واتفق ان زارنا حينئذٍ رجل من اهالي سالونيك واخبرنا عن اتفاق الاعضاء من جمعية الاتحاد والترقي الذين من تلك البلاد وعن ان الناس هناك يتزوجون بعضهم من بعض على اختلاف اديانهم والاتحاد بينهم كما هو بين اصحاب الدين الواحد فخطر ببالنا حينئذٍ تألف الشعب الاميركي من امم مختلفة كالانكليزية واسكتلندية وارلندية والمانية وفرنسوية وهولندية تجمعها جامعة الزواج التي مزجتها بعضها ببعض حتى لم يخطر على بال احد ان روزفلت مثلاً رئيس الولايات المتحدة هولندي الاصل . والسلون سكان القطر المصري مزيج من كل امة شرقية وبعضهم جاء مصر بنفسهِ او جاءها ابوهُ ومع ذلك تراهم مرتبطين ممتزجين على احسن ما يكون بين الامم الممتزجة وكثير

منهم من اصل قبطي ولكنهم لما فصل الدين بينهم وبين الاقباط المسيحيين ولم يعودوا يتزاوجون صاروا كأنهم من جنسين مختلفين. وقد امتزج السوريون المسلمون بالمصريين المسلمين بالزواج فصاروا معهم امة واحدة واما السوريون المسيحيون فلم يمتزجوا بالمصريين المسيحيين بالزواج فبقوا امتين مختلفتين. فرابطة الزواج اقوى من رابطة الدين. فتجسم امامنا حينئذٍ هذا المبدأ العلمي وهو ان التزاوج يزيل الفروق بين الاجناس المختلفة ثم اذا جعل رسل الخير ودعاة الاديان غرضهم الاول التعليم بان الله صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض سهل امتزاج الناس بالتزاوج وقوي خلق الخنوف بينهم بعضهم على بعض وضعف خلق الجفاء

باب تدبير المنزل

قد افردنا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اقراص النعنع

لاحدى السيدات

اكسري بيضةً وخذي زلالها وضعيه في كاس كبيرة. وخذي نصف رطل (نحو ٧٠ درهماً) من السكر الناعم جداً واضيفيه الى زلال البيضة قليلاً قليلاً وانت تحركينهُ بفرتيكة (شوكة) كبيرة متينة تحريكاً مستمرًّا حتى يمتزج السكر كلهُ بالزلال جيداً ويصير من ذلك معجون شديد القوام. ولا يتم هذا المزج في اقل من عشرين دقيقة الى نصف ساعة. ثم اضيفي الى هذا المعجون نقطاً قليلة من روح النعنع وانت تعجنينهُ بيديك موافتليه فتيلة طويلة من ثخن واحد وقطعيه قطعاً صغيرة ورقي كل قطعة منها على حدة حتى يكون منها قرص صغير او رقي المعجون رقاقةً واسعة وقطّعي منهُ اقراصاً صغيرة مستديرة كل قطعة منها كالقرش الصاغ بانبوبة مستديرة من المعدن. فهذه الاقراص مثل اقراص النعنع تماماً وتوضع على ورقة بيضاء نشافة بعد ان يرش على الورقة سكر ناعم وتترك عليها يوماً او يومين فتتصلّب

اقراص ومسكَّرات أخرى

ان المجون المذكور آنفاً المصنوع من السكر الناعم وزلال البيض تصنع منهُ اقراص ومسكَّرات أخرى تطيَّب بانواع العطور والارواح وتلوَّن بالوان اللعل المختلفة وتصنع على اشكال مختلفة بين اقراص وانمار وازهار وتترك كذلك او تحشى لوزاً او جوزاً او بندقاً او فستقاً

وكل سيدة تستطيع ان تصنع ذلك في بيتها من المجون المشار اليهِ ولا بدَّ من ان يكون السكر ناعماً جدًّا وان تغسل يديها من وقت الى آخر وتنشفهما جيداً وتفركهما بالسكر الناعم حتى لا يلصق المجون بهما . ولا بدَّ من قشر اللوز والجوز والبندق والفستق قبل حشو المسكَّرات بها وذلك بصب الماء الغالي عليها وتزع قشرها . اما العطور التي تضاف اليها وتطيب بها فمثل عطر الورد وماء الزهر وروح القانلاَّ وما اشبه

العشاء الصيني

يقال ان طعام الصينيين بالغ الغاية في الشذوذ عن المألوف وقد كتبت احدى السيدات الانكليزيات في جريدة المرأة تصف عشاء صينيًّا دعيت اليهِ هي وزوجها وجماعة من وجهاء الانكليز في بيت رجل من وجهاء الصين وحكام الاقسام او الدوائر قالت

دخلنا داراً فسيحة في بيت سعادة الحاكم قائمة على اعمدة مزدانة باصص الاشجار الصغيرة المقصوصة اغصانها حتى تصير في اشكال الحيوانات والطيور . وارض الدار خشب لايسط عليها وراتنجها مثل رائحة سائر بيوت كبراء الصينيين وهي رائحة الافيون . وقابلنا الخدم وساروا بنا الى غرفة داخلية حيث استقبلنا كاتم اسرار الحاكم وترجمانهُ وهو رجل صيني اقام في بلاد الانكليز مدة طويلة واقام في السفارة الصينية ثماني سنوات فيتكلم الانكليزية جيداً . فحيانا احسن تحية مصافحةً وادخلنا الى غرفة اخرى مفروشة باثاث انكليزي وكان الحاكم جالساً هناك فنهض لاستقبالنا وصافحنا وكان لابساً الجبب الصينية بعضها فوق بعض وفوقها رداء كبير احمر حواشيهِ مذهبة وعلى وسطهِ منطقة من الحرير حاشيتها من فرو القاقم الثمين وعلى رأسهِ طاقية من الحرير الاسود بالزر الدال على رتبتهِ . وهو عريض الوجه والاكتاف شارباهُ اسودان كبيران شعرهما مائل الى اسفل على جانبي فيهِ مثل جمهور الصينيين

وكان في هذه الغرفة موقد للنار ولكنهُ لم يكن كافياً لتدفئتها لشدَّة البرد . وقد دعا

مضينا ثمانية غيرنا للعشاء وكلهم من التناصل ورجال الحكومة الانكليز وزوجاتهم وبعد مكالمة قليلة سرنا الى غرفة المائدة . وكانت المائدة مزدانة بمرآة طويلة في وسطها عليها كؤوس طويلة للازهار وحول المرآة ازهار وعُقَد من الحرير الاحمر والاصفر

وكانت الوان الطعام مكتوبة في اوراق بحبر ذهبي وهي هذه

(١) شوربة عشاش العصافير
(٢) فلوُ البقر
(٣) سلحفاة مقلوّة
(٤) كبد الوز مطبوخة بالجلاتين
(٥) زعانف كلب البحر (القرش)
(٦) سمك على النسق الاوربي
(٧) سمك مقلو على النسق الصيني
(٨) معكروني على النسق الايطالي
(٩) فراخ محمّرة مع الفطر
(١٠) ديك رومي مقلو ولحم خنزير
(١١) كمك السلطنة
(١٢) قهوة اللوز
(١٣) بلُم بودن
(١٤) سلّة اللوز
(١٥) جبن
(١٦) نقل

فاكلت قليلاً من كل لون لارى طعمهُ وكمن لم يعتد الطعام الصيني الخاص لا يحسن به الاّ ان يذوقهُ قليلاً قليلاً لئلاّ تجيش نفسهُ اذا لم يستطبهُ . وقد وجدت شوربا العشاش لذيذة جدًّا وهي سائل غروي فيهِ قطع جلاتينية طافية وخيوط دقيقة من بياض البيض المسلوق . وفلوُ اللحم لذيذة ايضاً ولحم السلحفاة قدم لنا في صحاف صغيرة من الفضة وكان دهنهُ كثيراً وقد طبخ مع انواع مختلفة من الخضر وبيض اللاخف . وكبد الوز قدم بالميونيز والشيح (اللاوندا) . وهو لذيذ ايضاً . ثم قدمت لنا زعانف كلب البحر وهي من الطعام الصيني الخاص فوجدناها طويلة جلاتينية ومعها مرق احمر شديد القوام مصنوع من صفار البيض المسلوق فلم استطبهُ ولا استطبت السمك المقلو على الاسلوب الصيني . والفراخ كان معها فطر وجوز في مرقها

كل هذه الالوان قدمت لنا في صحاف صغيرة من الفضة مغطاة باغطية من الفضة ايضاً وهي مختلفة الاشكال والنقش باختلاف الوان الطعام فتقدم صحفة لكل واحد من كل لون وفي بعض الصحاف فراغ تحت الصحفة فيهِ ماء غالٍ وقد استحسنت هذه الصحاف وعزمت ان اشتري مثلها . وكان لحم الديك الرومي قاسياً جدًّا وقهوة اللوز غليظة القوام قدمت في فناجين صينية ولكنني لم اجسر على شربها

وقد اكلنا الطعام بالشوك والسكاكين وقدمت لنا ايضاً العيدان التي يأكل الصينيون

بها عادة وكان مضيفنا وكاتم اسرارهِ يتكلمان بها بسرعة ولباقة . والخمر التي قدمت لنا من الانواع الاوربية الشرقي والكلارت والشمبانيا

وغرفة المائدة كبيرة وباردة ولم يكن فيها موقد ولكن كان فيها كوانين نحاسية وضع فيها الجمر . انتهى . ويظهر من ذلك ان الصينيين يقلدون الاوربيين ويمزجون عاداتهم بالعادات الاوربية كما نفعل نحن

النساء والرحلات القطبية

يظهر ان بعض النساء رافقن ازواجهن في الاسفار الى الاصقاع القطبية ومنهن زوجة بيري الرحالة الذي وصل حديثاً الى القطب الشمالي وثبت السبق لهُ لا لكوك في الوصول الى القطب . وقد قضت معهُ فصل الشتاء في تلك الاصقاع بعد ما تزوجا منذ نحو عشرين سنة وذهبت هي وابنتها لقائهِ سنة ١٩٠١ واقامتا معهُ ثلاثة اشهر ثم عادتا الى البيت وعاد هو الى الايفال شمالاً . وقد تكلل سعيهُ بالنجاح اخيراً واشتركت زوجتهُ معهُ في لبس اكليل الظفر لانها شاركتهُ في السعي اليهِ

ومنذ سبعين سنة رافقت مدام بيرد زوجها الى سبتسبرجن . ومنذ ثلاث سنوات ذهبت سيدتان اميركيتان الى سبتسبرجن لاجل الصيد . وقبل ذلك مضى رجل دنمركي اسمهُ وموسن مع اخيهِ الى اقصى بلاد الاسكيمو في غرينلندا وعاشا معهم لكي يدرسا اخلاقهم واطوارهم وتعلمت هذه السيدة لغة اهالي غرينلندا لكي تفهم الاقاصيص التي كانت نساء الاسكيمو يقصصنها عليها وصعدت مرةً مع اخيها على جبل ارتفاعهُ ٢٤٠٠ قدم في فصل الشتاء ولولا قليل لهرأهما البرد

ومن الشهيرات اللواتي زرن الاصقاع الشمالية مسز بوليداس هيرد فانها اكتشفت ما مساحتهُ ٦٠٠ ميل من تلك المجاهل فعلت ذلك تخليداً لاسم زوجها فانهُ قصد اكتشاف تلك البلاد فقضي عليهِ قبل ان يتم غرضهُ ولم تكن زوجتهُ قوية البنية ولكن عزيمتها سهل عليها الصعاب فقامت في شهر يونيو سنة ١٩٠٥ ومعها امرأة من الاسكيمو ومندس وسكين كبيرة وكودكان لتصوير وبارومتر وثرمومتر واطلس وروسادة واخذت معها نفراً من الرجال ومع كل منهم فرد وسكين كبيرة ومعهم كلهم قاربان وما يلزم من الزاد وسارت هي ورفاقها ٣٠٠ ميل قبلما اتفقت باحد من الناس ومرَّ بها من الشدائد ما يشيب الولدان ولكنها صبرت هي واتباعها صبر الكرام الى ان وصلوا الى نهر جورج في خليج انفانا حيث تأتي سفينة بخارية مرةً في السنة فانتظروها شهرين وعادوا بها

طرد الصراصير

امزج كيات متساوية من الجبس والدقيق وضع المزيج كوماً في ارض الغرفة فتختفي الصراصير منها في وقت قصير على ما يقال . ويقال ايضاً ان قشر الطيار يطردها ايضاً

صفة للكولد كريم

يمكن عمل الكولد كريم في البيت من الاجزاء الآتية

دهن الحوت (من القناطيس)	حاوية واحدة
شمع ابيض	نصف اوقية
زيت اللوز الحلو	٦ اواقٍ
غليسرين	اوقية ونصف
عطر الورد	ست نقط

ذوِّبها تدريجاً في فرن قليل الحرارة وامزجها وغطها الى ان تبرد

تنظيف الشمع

ينظف الشمع الذي تفرش به الغرف بالماء والصابون ثم يزال الصابون بالماء النقي ويشف بقطعة من الفلانل ولا يستعمل لذلك الاَّ مقدار قليل جداً من الماء . ويصقل بعد تنظيفه بمزيج مؤلف من كيات متساوية من زيت التربنتينا وزيت الكتان

الكمادات (اللبخات) وعملها

لا يخفى ان لبخات (الكمادات) الحارة فائدة كبيرة ومعرفة عملها ضرورية لكل واحد لاننا لا نقدر ان نشتريها من بائع الادوية بل يلزم عملها في البيت وعلى مقربة من المريض لوضعها حالاً على المحل المصاب

وهي مفيدة جداً في الالتهابات فانها تخفف الألم وتلين اليبوسة وتجمع المدة وتجذبها الى سطح الجسم وتسهل خروجها . وفائدتها لتقوم بحرارتها ورطوبتها فيجب تغييرها كلما بردت وتوضع اللبخة الجديدة حالما ترفع القديمة ويكون ذلك مرة كل ساعة . واللبخات انواع كثيرة نذكر اهمها مع وصف طريقة عملها

لجعة بزر الكتان . — يلزم لعملها مقدار كاف من الماء الغالي ووعاء نظيف ومنخل او سكين ومسحوق بزر الكتان وخرقة نظيفة فتوضع السكين في الوعاء ويصب فيه قليل من الماء الغالي ويترك فيه بضع ثوان حتى يسخن السكين والوعاء ثم يراق الماء ويصب مكانهُ مقدارٌ كاف من الماء الغالي ويضاف اليهِ مسحوق بزر الكتان شيئاً فشيئاً ويحرك الى ان يصير قوام المزيج كافياً ثم يوضع على الخرقة ويمد بالسكين ويترك من الخرقة مقدار عقدة من كلٍّ من جوانبها يطوى على بزر الكتان فيكون من ذلك كمادة توضع على المحل المصاب ويجب ان يكون بزر الكتان ملاصقاً للجلد واذا وضع فوق الكمادة قطعة من الفلانلا او الحرير المشمع تطول مدة حفظها للحرارة

لجعة الخردل او الخردلية . — لعملها طرق مختلفة واسهلها ان تأخذ قطعة من الفلانلا الناعمة وتغمسها في الماء الفاتر ثم تعصرها وترش عليها قليلاً من دقيق الخردل وتضعها على المكان المصاب . ومما يجب الانتباه اليهِ ان يكون الماء فاتراً او بارداً فان المادة الفعالة في الخردل زيت يتكون فيهِ باضافة الماء البارد او الفاتر فاذا كان الماء حاراً امتنع تكون الزيت . وهناك طريقة اخرى لعمل لجعة الخردل وهي مزج دقيق الخردل بالماء البارد ومدهُ بسكين على قطعة من الشاش او نسيج الكتان . واذا شئت أن تضعف فعل الخردل أضف اليهِ قليلاً من دقيق الحنطة او بزر الكتان اوضع بينهُ وبين الجلد قطعة من الشاش . وان احببت تقويتهُ امزجهُ بالخل الفاتر عوضاً عن الماء

لجعة النخالة . — ضع النخالة في اناء يسخن وصب عليها المقدار الكافي من الماء الغالي وحركه المزيج ثم ضعهُ في قطعة من الفلانلا الناعمة واربطها او ضعهُ في كيس من الفلانلا واربط عنقهُ . وتعمل لجعة النخالة ايضاً بوضع النخالة في الماء الغالي ثم تحرك قليلاً ويراق الماء الزائد عنها وتوضع في قطعة الفلانلا كما تقدم . وتعمل ايضاً بمزج النخالة بالخل ثم يسخن المزيج ويوضع في كيس او قطعة من الفلانلا

لجعة الخبز . — فعلها ضعيف وتستعمل في الاصابات الخفيفة وطريقة عملها ان تضع فتات الخبز في اناء وتصب عليهِ الماء الغالي ثم تحرك المزيج وتضعهُ في فرن ارعل نار خفيفة نحو خمس عشرة دقيقة . ولا بأس باضافة قليل من مسحوق الحامض البوريك فان ذلك يفيد في الجروح البسيطة المتقيحة ويستحسن اضافة البوريك الى كل انواع الكمادات في الاحوال التي ينتظر التقيح فيها

باب الزراعة

مقاومة الحشرات في هوّاي

أصيب قصب السكر في جزر هوّاي بحشرة صغيرة اضرّت به كثيراً فانها تخرق الساق وتمص عصارته فيذبل ويموت . وهي من نوع زيز الحصاد لكنها اصغر منه كثيراً وهي كثيرة التوالد تبيض ست مرات في السنة فاذا سلم منها في المرّة الواحدة عشرون انثى وباضت هذه وافرخت وعلم جرّا بلغ مجموع الذرية في السنة الواحدة ٦٤ مليوناً من الحشرات . وقد وجدوا بعد البحث ان هذه الحشرة جاءت الى جزر هوّاي من بلاد أخرى مع قصب السكر وتكاثرت فيها لان الحشرات التي تهلكها لم تدخل معها فارسلت الحكومة بعثاً يبحث عن وطنها الاصلي لعلهُ يجد آفتها هناك فوجد ان وطنها الاصلي استراليا وآفتها نوعان من الذباب يخرق بيوضها ويضع بيضهُ فيها ومتى تفقت صغارهُ اغتذت بهذه البيوض واهلكتها . فادخلوا الذباب المذكور الى هوّاي وكثر هناك واهلك من بيوض هذه الحشرات شيئاً كثيراً فخفّت وطأتها بذلك . ولعل الحكومة المصرية تهتدي الى طريقة شبيهة بهذه في ابادة دودة القطن

تربية الغنم في الصعيد

ان في مديرية اسيوط وجرجا غنماً جيدة جدّاً صوفها غزير وطلها وافر فالخروف الحولي اذا كان قد علف جيداً تبلغ جزتهُ سبعة ارطال او ثمانية يباع الرطل الواحد منها بسبعة غروش صاغ او ثمانية اول سنة وثاني سنة لان صوفهُ يكون تامّاً يصلح لان ينزل خيوطاً دقيقة وينسج « زمايط » في غاية ما يرام من المتانة وحسن اللون حتى انها متى صبغت وخيطت يفضلها كثيرون على الصوف الافرنكي مهما كان لونهُ وقيمتهُ . ومتى بلغ الخروف الحول الثالث يجز منهُ عشرة ارطال صوف يباع الرطل منها بستة قروش على الاقل فيكون ثمن جزته ستين قرشاً صاغاً . اما لحمهُ فيبلغ سبعة اعشار وزنهِ تقريباً فيكون منهُ رمج لقانيه لا يستخف به لولا ارتفاع ايجار الاطيان فان الفدان الواحد في حوض مديرية اسيوط يؤجر بستة جنيهات ولا يزرع

الأ قولاً او قمحاً او برسيماً مرة واحدة في السنة والخروف البالغ يأكل ثلاثة قراريط في أشهر الشتاء الثلثة ثمن برسيمها خمسة وسبعون قرشاً صاغاً على الاقل اما في فصل الربيع فلا يكلف صاحبهُ شيئاً لانهُ يرعى الحشائش التي تنكشف بعد حصاد الفول ولكن متى حل شهر يونيو تقفر الارض من المراعي ولا يعود ما فيها يكفي لرعي الاغنام فتهزل فيضطر اصحابها الى تعليفها بالفول والتبن وغلاه هذين الصنفين الآن لا يدع مجالاً كبيراً للكسب ولذلك ترى الذين يقتنون الاغنام يعولون على بيع الخروف قبل ان يبلغ الحول من العمر ليكون لم منهُ بعض الربح

وبيان ذلك ان الشاة الواحدة تنتج غالباً خروفين قبل حلول الشتاء في اوان الشتاء حيث ترعى المواشي البرسيم لا يكلفان قانيهما شيئاً يذكر اذ يكون الحمول في اعالتهما على الرضاعة وما يأكلانهِ من البرسيم لا يكلف اكثر من عشرين قرشاً ومتى جاء الربيع ورعت المواشي في الحقول مكان الفول الذي حصد لا يكلفان صاحبهما نفقة كما ذكرنا وفي شهر يونيو يكون الخروف الواحد قد بلغ من العمر سبعة شهور تقريباً فيجز حينئذٍ ويباع جزتهُ بثلاثين اوخمسة وثلاثين قرشاً ولحمهُ بسبعين قرشاً او ثمانين على اقل تقدير فثمن لحمهِ وصوفهِ يزيد حتماً عن جنيه مصري ولا يكلف قانيهُ سوى ثلاثين قرشاً والظاهر ان في هذا ربحاً يكفي ان يحترف تربية الاغنام ولكن من يدقق النظر يتضح لهُ ان الشاة التي تنتج هذا النتاج تكلف قانيها نحواً من مائة ومتين قرشاً في السنة ثمن برسيم وعلف وتبن هذا فضلاً عن نفقة الملاحظة وتعب المراقبة الى غير ذلك من مقتضيات تربية الماشية

وقد كان في تربية الاغنام ربح عظيم منذ خمسة وعشرين سنة حينما كان ايجار الفدان الذي يزرع برسيماً لا يزيد عن ٢٣٠ قرشاً وكانت الاراضي التي تترك بوراً وتنمو فيها الحشائش واسعة تسرح فيها الماشية وتمرح ولا تكلف صاحبها نفقة الأ شهرين في الشتاء متى جاء اوان رعي البرسيم ولذلك كنت ترى القطعان تملأ القبطان وتزين الحقول اما الآن وقد كثر سكان القطر حتى ضاق بهم المستوى وزرع كل شبر ارض ولم يترك منها شيء بور وبلغت قيمة الايجار اربعة اضعاف الماضي فان تربية الماشية مهما كان نوعها لا تأتي بفائدة تذكر ولذلك قل شغف الناس بتربيتها فقلت اللحوم وارتفعت اثمانها خمسة اضعاف ما كانت عليه منذ عشرين سنة

القطن المصري ودودة اللوز

كاد يثبت الآن ان موسم القطن المصري أصيب بضرر كبير في شهر نوفمبر فقد كتبت شركة الحاصيل تقول « ان حالة القطن زادت سوءاً في شهر نوفمبر فوجب علينا والحالة هذه ان نزيد كل اسباب الضرر التي ذكرناها في تقريرنا الماضي وضوحاً وبياناً فالجنية الثانية أصيبت اكثر كثيراً مما كان يمكن تقديره قبل اوانه فان مقداراً عظيماً من اللوز وجد تالفاً تماماً وقت هذه الجنية وكانت الجنية الثالثة مُفيقة لا تذكر . وزاد صافي الحليج رداءةً عما كان عليه فهو ينقص عن صافي حليج السنة الماضية من ٣ الى ٤ في المائة وذلك في الوجه البحري والوجه القبلي ايضاً . وهذه الاسباب خيبت الآمال التي كانت تعلَّق على نمو شجيرات القطن وجودتها كما كنا نذكر في التقارير السابقة وعليه يلزمنا الآن ان نخفض تقديرنا للمحصول في الشهر الماضي وتقدره من خمسة ملايين وربع الى خمسة ملايين ونصف »

هذا واكثر اصحاب الزراعات الكبيرة الذين يعتمد على قولهم يقدرون الموسم بخمسة ملايين او باقل من ذلك وقد كثر البحث في السبب الذي يوجب هذا النقص الكبير وعرض القطن لدودة اللوز واتفق ان في اطياننا قطناً اصيب بدودة اللوز وقطناً لم يصب بها وهما في حوضين متقاربين في مديرية الغربية يرويان من ترعة واحدة على اسلوب واحد ولكنهما يفرقان من وجوه أخرى ولعلها السبب في اصابة الواحد وعدم اصابة الآخر

فالحوض الاول جيد التربة شديد الخصب قدَّرنا محصوله في اول سبتمبر بسبعة قناطير على الاقل من كل فدان وكانت اشجاره عالية مشبكة بعضها ببعض وطرحه كثيراً جداً وورقه اخضر قاتماً ولا تظهر ارضه لشدة خصبه

والحوض الثاني جديد لم يزرع قطناً قبل الآن الا مرة واحدة وكان قطنه لما رأيناه في اول سبتمبر ضعيفاً بالنسبة الى الحوض الاول اشجاره صغيرة وطرحه قليل وتظهر الارض بين الشجيرات لقلة خصبها ولقلة اشتباك اغصانها وقد قدَّرنا محصوله حينئذٍ بثلاثة قناطير لكل فدان

ومصارف الحوض الاول بعيد بعضها عن بعض واما مصارف الحوض الثاني فقريب بعضها من بعض جداً البعد بين مصرف ومصرف خمس قصبات فقط

وقد كانت النتيجة ان الحوض الاول حاسب على خمسة قناطير فقط مع اننا كنا ننتظر سبعة الى ثمانية والحوض الثاني حاسب على خمسة قناطير وربع قنطار مع اننا لم نكن ننتظر اكثر من ثلاثة

و يظهر لنا ان سبب ذلك هو ان خصب الحوض الاول الزائد حال دون جفاف ارضهِ ودون تخلل اشعة الشمس بين اغصانهِ فقصدهُ فراش دود اللوز لانهُ يفضل الاماكن المظللة على الاماكن المنيرة وانهُ لو كان البعد بين اشجارهِ اكثر مما كان عليهِ لزاد تخلل اشعة الشمس لهُ ولزاد جفاف ارضهِ وقرُّ نمو ورقهِ فانكشف لوزهُ للشمس ولم يصب بالدود . وكذلك لو اتفق وكان الهواء جافاً في اكتوبر ونوفمبر والحر شديداً والماء قليلاً لنجت هذه الشيحة نفسها وسلم هذا الحوض وجاء محصولهُ كما قدرناهُ

والحوض الثاني بقيت ارضهُ جافة لانها مكشوفة قريبة المصارف فاستخدمت قوة اشجارهِ الحيوية في عمل اللوز جرياً على الناموس الطبيعي وهو ان قلة الخصب تزيد النسل ولم يصب بدود اللوز لان لوزهُ كان مكشوفاً لاشعة الشمس . ومن المحتمل انهُ لو جاء الحرُّ شديداً والهواء جافاً في سبتمبر واكتوبر ونوفمبر لجاء قطن الحوض الاول اكثر من قطن الحوض الثاني كما قدَّرنا

ولنا اطيان أخرى في مكان آخر في القليوبية فاشرنا على المستأجرين بابعاد خطوط القطن اكثر من المعتاد ففعل بعضهم بمشورتنا فحاسب الفدان عندهم على ستة قناطير او اكثر ولم يعمل البعض الآخر بها فحاسب على اربعة والاطيان كلها من معدن واحد وليس لها مصارف لانها ساحل بحر

ولا يخفى انهُ لا يمكن الحكم البات بان هذه التعاليل صحيحة الاَّ بعد الاستقراء الطويل ولكن لاشبهة في ان القطن من نباتات البلاد الحارَّة وان الجفاف لا يضرُّهُ كثيراً كالرطوبة فقد رأيناهُ يزرع بعلاً ويجود في بعض الجهات السورية وان زيادة الخصب تمتي الورق على نفقة اللوز . فاذا ثبتت هذه المقدمات ظهر منها ان التعاليل المتقدمة معقولة ولعلها التعاليل الصحيحة

القطن الاميركي ومحصولهُ

قدَّرت نظارة الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية محصول القطن الاميركي بعشرة ملايين و ٨٨ الف بالة لا غير وقد كان الموسم الماضي ثلاثة عشر مليوناً و ٥٨٠ الف بالة فالفرق كبير جداً بين موسم هذا العام وموسم العام الماضي ولا عجب اذا ارتفعت الاسعار ارتفاعاً لم يعهد لهُ نظير فبلغ سعر الكنترانات في الاسكندرية ٣٦ ريالاً واردب البذرة

أكثر من مئة غرش اي زاد ثمن قنطار القطن المصري عن ستة جنيهات وارتفع سعر الكنترالتل من المحصول المقبل الى اكثر من ٢١ ريالاً

وهاك محصول بعض السنين الماضية في اميركا وسائر البلدان والمقطوعية العمومية فيها

المحصول بالبالات

	١٨٨٥	١٨٩٣	١٩٠٠	١٩٠٨
الولايات المتحدة	٥١٣٦٠٠٠	٨٠٤٤٠٠٠	١٠٤٢٥٠٠٠	١٣٥٨٠٠٠٠
سائر البلدان	٢١٠١٠٠٠	٢٦٠٠٠٠٠	٣٤١٤٠٠٠	٤٦٠٢٠٠٠
والجملة	٧٢٣٧٠٠٠	١٠٦٤٤٠٠٠	١٣٨٣٩٠٠٠	١٨١٨٢٠٠٠

المقطوعية بالبالات

بريطانيا	٢٧٤٦٠٠٠	٣٧٠٦٠٠٠	٣٢٦٩٠٠٠	٣٦٥٠٠٠٠
سائر اوربا	٢٦٠٤٠٠٠	٤٥٧٦٠٠٠	٤٥٧٦٠٠٠	٥٧٢٠٠٠٠
الولايات المتحدة	١٥٢٧٠٠٠	٣١٨٩٠٠٠	٣٦٣٥٠٠٠	٤٩١٢٠٠٠
سائر البلدان	٥٥٦٧٠٠	١١٧٠٠٠٠	١٠٦٠٠٠٠	٢٧٥٤٠٠٠
والجملة	٧٤٤٤٠٠٠	١٢٦٤١٠٠٠	١٢٥٤٠٠٠٠	١٧٠٣٦٠٠٠

ويراد بالمقطوعية مقطوعية معامل الغزل والنسج وما اشبه ويظهر من هذا الجدول ان المقطوعية اخذة في الازدياد بسرعة ولاسيما في الولايات المتحدة الاميركية

المكروبات والزراعة

جاء في المجلة الزراعية الانكليزية ان الدكتور رسل والدكتور هتشنسن اجريا بعض الامتحانات في تعقيم التربة باحمائها الى الدرجة ٩٥ من مقياس سنتغراد او معالجتها ببعض المطهرات الطيارة كثاني كبريتيد الكربون فكانت النتيجة ان التربة زادت خصباً بازدياد تواد النشادر . ويظنان ان ذلك ناتج عن سرعة نمو بعض المكروبات النافعة لان التعقيم يهلك الاحياء المقاومة لها فاذا صح ذلك يحسن اننا نوفق في المستقبل الى ايجاد طريقة نهلك بها الاحياء التي تقاوم المكروبات المفيدة للزراعة

باب المسائل

عقد هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة فصد المقتطف ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألته باسمه وعنوانه وحل اقاموا اسمه وعنوانه (٢) ان لا يزيد السائل التصريح بالموضوع المراد سؤاله فليذكر [illegible] (٣) ان يعين حروفاً تخرج بمكان اسمه (٤) اذا لم تخرج المسائل بعد شهرين من ارسالها اليناً فليكرّر مسألته فان لم تخرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناها لسبب كان

(١) البلون ودوران الارض

مصر . فرج الندي غبريال . هل يشعر الراكب في المنطاد بدوران الارض واذا كان كذلك فهل يتغير وضعها تغيراً محسوساً بالنسبة اليه بما انهُ خارج عنها

ج . ان الراكب في البلون لا يشعر بدوران الارض ومهما ابعد به لا يكون قد خرج عنها لان غاية ما وصل البلون اليه نحو ستة اميال وهو لو صار بعدهُ عن الارض الف ميل او اكثر لبقي متصلاً بها ودائراً معها كأنهُ جزء منها

(٢) لقب كافر

وندصور كاسل بجايكا . الحواجه شحاده خليل مالك . يستعمل الناس لقب كافر لمن لا دين لهُ فهل ذلك صواب

ج . يظهر من كتب اللغة ان اطلاق اسم الكافر على من لا دين له او لا ايمان لهُ صواب ومثلهُ المعطّل فان كفر ضد آمن وكفر بالله نفاهُ وعطلهُ

(٣) تولد الزوابع

ومنهُ . كيف تتولد الزوابع

ج . لا يعرف سبب لحركات الرياح غير تأثير حرارة الشمس في الارض وهوائها فالحرارة تسخن الهواء فيتمدّد ويخف ويصعد ويزحمهُ الهواء البارد لانهُ اثقل منهُ ولما كان سطح الارض غير مستوٍ بل فيهِ جبال ووهاد وتلال فتتغير حركة الرياح كما تتغير حركة الماء الجاري اذا لقي في طريقهِ عمود قنطرة فتدور الرياح على نفسها دوراناً لولبياً وهذه هي الزوبعة . وقد يكون للتغيير المستمر في الشمس الذي يؤثر في حرارتها الواصلة الى الارض ولاختلاف جذب القمر حسب مواقعهِ يد في تغير حركات الرياح ولذلك لا تجري على قياس واحد سنة بعد سنة مع بقاء شكل الارض على حالهِ

(٤) غرض الحياة

ومنهُ . ما هو غرض الحياة وخصوصاً حياة الانسان فانهُ يعمل ويجتهد ثم يموت

ويدرس فينهض ابنهُ ويعمل مثلهُ وهكذا على التوالي فهل لذلك منفعة حقيقية يرتاح اليها العقل وما النتيجة من كل هذا العناء الدائم وهل هو فناء دائم وتحوُّل لا غير او هناك غاية يظفر بها الانسان تكون مقابل ذلك العناء وكيف يكون ذلك

ج . اذا اردتم الجواب دينيًّا او فلسفيًّا فكل نفس تجزى في الآخرة بما عملت في هذه الدنيا خيراً كان او شرًّا . واذا اردتم الجواب علميًّا فبعض سؤالكم يجيب عنهُ السؤال فقد اثبت ان الاحياء آخذة في الارتقاء منذ وجدت على وجه هذه البسيطة وارتقاؤها من الادنى الى الاعلى ومن البسيط الى المركب كما يستدل من الاحافير او المتحجرات التي في طبقات الارض ومن آثار الانسان وافعاله فبعض الغاية من وجود الانسان ان يزيد ارتقاء عصراً بعد عصر. وهذه الغاية حاصلة للنوع كلهِ ولكن فائدة الفرد الواحد من عملهِ وسعيهِ قد تكون قليلة جدًّا فالذي استنبط آلة الخياطة افاد نوع الانسان فائدة كبيرة اما هو فمات في الفقر المدقع والذين رضعوا اللقاحين الادبية لم يستفيدوا منها شيئًا يذكر بالنسبة ما استفادهُ منها ابناء نوعهم واذا تلاشى الانسان او بطل وجدانهُ بموتهِ فالفائدة الحاصلة لهُ من تعبهِ قد لا توازي تعبهُ ولكن اذا كان التلاشي ضرباً من المحال كما يظهر بالاستقراء العلمي و بتيت قوى الانسان العقلية في الكون فلا يبعد ان يصحبها الوجدان ايضاً وحينئذٍ يكون للانسان وجود آخر بعد انحلال جسمهِ المادي فيشعر بنتيجة اعمالهِ التي عملها في هذه الدنيا. والعلم الطبيعي لم يثبت ذلك حتى الآن ولكنهُ سائر في طريق اثباتهِ واذا ثبت ان مناجاة الارواح خالية من الغش ثبت بقاء نفوس اناس عند علماء الطبيعة كما هو ثابت عند الفلاسفة ورجال الدين وحينئذٍ يفهم معنى الحياة

(٥) الحيوان والهيئة الاجتماعية

ومنهُ . هل للحيوان هيئة اجتماعية على نسبة هيئتنا الاجتماعية وهل لهُ نواميس ادبية يجب ان يقوم بها وهل يستدل من اعمالهِ على شعور ديني فيهِ

ج . ان لبعض طوائف النمل وبعض طوائف الغربان شيئًا من الهيئة الاجتماعية او الحكومة المنظمة فقد روى الباحثون في طبائع الحيوان غرائب عن النمل والغربان لا تقصر الآبان هذه الحيوانات تسعى وتتعاون وتهتم بالمستقبل وترفق بالضعيف وتقاص المسيء ولكن لا يظهر ان فيها اقل شعور ديني

(٦) تعدد الزوجات

ومنهُ . ما هو الناموس الطبيعي في الزواج من حيث تعدد الزوجات هل هو على وفاق مع الناموس المدني او على خلاف

ج . ان عدد الذكور مثل عدد الاناث في كل المكونة واذا اختلف فالزيادة في

الذكور لا في الاناث وهي نحو ثلاثة في المئة فلا يكون للزوج اكثر من زوجة واحدة ولا شبهة في ان الرجل يستطيع ان يتزوج كثيرات ولكنهُ قلما يستطيع ان يبرز كل اولادهنَّ ويربيهم

(٧) اصلاح الدولة العثمانية

بيروت . الخواجه مرشد الياس ابوكرم

هل يتوقف اصلاح الدولة العثمانية على العلوم او على المالية وهل يطول هذا الاصلاح الذي ينتظرهُ كل عثماني

ج لا بدَّ من ان يسير الاصلاحان معاً الاصلاح المالي والاصلاح العلمي فعلى رجال النافعة والمالية والداخلية ان يهتموا بضبط المالية وعمل الاعمال التي يزيد بها دخل السكان والحكومة وعلى رجال المعارف ان يهتموا بنشر العلوم والفنون ولكن ازدياد نشر العلوم والفنون يقتضي ان تزاد ميزانية نظارة المعارف ولا تسهل زيادتها الاَّ بعد ضبط المالية وازدياد دخل الحكومة . واذا استطعنا ان نصلح بلادنا ونصيرها مثل البلدان الاوربية الراقية في عشرين سنة فنكون قد نجحنا نجاحاً باهراً

(٨) حقيقة الصاعقة

ومنهُ . من اي شيء تتركب الصاعقة وكيف تجتمع تلك الاجزاء التي تتركب بين الغيوم وكيف تسقط على الارض

ج عندكم في بيروت ترامواي كهربائي فانظروا اليهِ تجدوا شراراً يتولد احياناً بين العجل والشريط الذي تحتهُ او بين القضيب الذي فوق المركبة والسلك الممتد فوقها فهذا الشرار مثل برق الصاعقة تماماً وسببهُ ان الكهربائية على نوعين فاذا اقترب هذان النوعان وبقي بينهما فاصل قليل امتزجا وحدث من امتزاجهما حرارة ونور وصوت . ويحدث مثل ذلك في الجو فتتكهرب الغيوم بالكهربائية الواحدة والارض تحتها بالكهربائية الاخرى وتهجم الواحدة على الاخرى لتتحدا فيحدث من ذلك حرارة ونور وصوت وترى الشرارة الكهربائية في خط مستقيم او متعرج لسرعتها والسبب الاكبر لتولد كهربائية الجو تحول الماء الى بخار والبخار الى ماء

(٩) اقدم كتاب عربي

ومنهُ . ما هو اقدم كتاب باللغة العربية وما هو اسم مؤلفهِ واين يباع وكم ثمنهُ . اني اردتم كتب الخط فاقدمها في ما علم الكتب المشار اليها في الصفحة ٨٢٦ وما بعدها من المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف ولتلوها نسخة من الانجيل موجودة الآن في دير طورسينا كتبت سنة ٤٣٨ للهجرة وخطها قريب من الخط الكوفي وقد نشرنا سطوراً منها في المجلد الثامن عشر من المقتطف والصفحة ٣٦٧ في الكلام على كنوز سينا . وهذه الكتب لا تقدَّر بثمن . واذا اردتم كتب الطبع فاقدم كتاب عربي المزامير وقد طبع في مدينة جنوى سنة

١٥٠٦ وذلك بعد استنباط الطباعة بالحروف بنحو ستين سنة او سبعين . وكان استنباط الحروف العربية للطباعة في مدينة البندقية بين سنة ١٥٠٥ وسنة ١٥١٤ وفي مكاتب اوربا العمومية قليل من الصلوات العربية التي طبعت حينئذٍ . ومن القدم الكتب العربية المطبوعة قانون ابن سينا في الطب طبع برومية سنة ١٥٩٣ وكتاب الاصول الهندسية لاقليدس طبع فيها ايضاً سنة ١٥٩٤ .

(١٠) الصابون وسقوط الشعر

الخرخوم . رزق افندي واصف . ما هو اتقى صابون يستعمل لغسل الرأس لمنع سقوط الشعر

ج . الصابون لا يمنع سقوط الشعر . ولجودة انواع الصابون للغسل ما كان صرفاً اي قلويتهُ غير زائدة

(١١) صفاران في بيضة

ومنهُ . شاهدت مراراً وجود صفارين في بيضة واحدة فمن أي شيء يحصل ذلك

ج . هو من الشواذ التي لا يعلم سببها ومن المحتمل ان يكون السبب قلة المواد الكلسية الجيرية في طعام الدجاجة فيجتمع صفاران في قشرة واحدة اقتصاداً طبيعياً

(١٢) مرض الدجاج

ومنهُ . ما هو مرض الدجاج والدواء الشافي منهُ

ج . لا نعلم اي مرض تريدون فان الدجاج يصاب بامراض مختلفة ولكن المرض الذي مات به دجاج كثير في هذا القطر منذ بضع سنوات فطري تنقل العصافير عدواهُ من مكان الى آخر فاذا فصلت الدجاج السليمة عن غيرها ووضعت حيث لا تصل العصافير اليها سلمت من المرض . اما مسائلكم عن الحبّل فلا يحسن نشرها في مجلة عمومية فاسألوا عنها طبيباً

(١٣) انقلاب عظيم في الزراعة

الاسكندرية . صليب افندي منقريوس . اوردتم في الصفحة ٤٤٠ من مقتطف سنة ١٩٠٨ نبذة تحت عنوان انقلاب عظيم في الزراعة . وحتى الآن لم تذكروا شيئاً عن هذا الاستنباط ونود ان نعرف ماذا تمّ بهِ

ج . لم يبلغنا انهُ تمّ بهِ شيء حتى الآن والمبدأ صحيح وهو ان المياه المحتبسة من الطبقة الزراعية من الارض تكون حاوية لكثير من المواد التي تغذي النبات ومن هذا القبيل مياه السواقي لكن ري الاطيان بمياه السواقي يكلف كثيراً كما لا يخفى . ويقول صاحب الاستنباط انهُ استنبط اسلوباً لاستخراج المياه الغزيرة من تحت الطبقة الزراعية بنفقات قليلة وانهُ جرّب ذلك فنجح . وتقوم طريقتهُ بادخال المواسير تحت الارض افقية بدل ادخالها عمودية كما في الآبار الارتوازية فتنشعب حول البئر الى كل الجهات وتجمع المياه الغزيرة منها ولكن دق المواسير افقية

يقتضي آلة قوية ونفقات كثيرة وربما بلغت نفقة عمل البئر التي جنيه فلا يقدم احد على دفع هذا المبلغ على سبيل التجربة لاسيما وان الادلة الحسابية النظرية لا تغني عن التجارب العملية ولا بدّ من المخاطرة في حفر بئر كبيرة من هذا القبيل فاذا اثبت الامتحان رأي المستنبط شاع العمل باستنباطه

ثم ان الفيضان كان وافياً في السنتين الاخيرتين والماء غزيراً فلم يشعر احد بالحاجة الى حفر آبار جديدة لاجل الري ولعلّ ذلك من الاسباب التي قللت الاهتمام بهذا المشروع

(١٤) النوم بتابوت مصري

مصر امين افندي محمد - اشاعت الجرائد اليومية ان تابوت احدى المومياءات المصرية الموجودة الآن ببلاد الانكليز كان شؤماً على الذين نقلوه الى تلك البلاد وعلى الذين اقتنوه وقد وضع الآن في دار التحف البريطانية واقفل عليه لئلا تصيب الشرور والمصائب من يراه فهل ذلك صحيح

ج - لا اثر فيه للصحة وقد رأينا ما تشيرون اليه في الجرائد العربية وفي بعض الجرائد الانكليزية وارسلنا سأل صديقنا الدكتور بدج الشهير حافظ الآثار في التحف البريطاني عن سبب هذه الاشاعات فكتب الينا يقول ان التابوت او الغلاف المشار اليه وضع في التحف البريطاني منذ سنة ٨٨٩ ولم يرَ شيء غير عادي متعلقاً به - فالاشاعات باطلة كلها

(١٥) العربية بدل اللاتينية

طرابلس الشام ف - ج - قرأت في الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين عن اعتبار اللغة العربية عند الانكليز فهل يمكن لطالب درس الطب ان يدرسه في احدى جامعاتهم ويعفى من درس اللغة اللاتينية واليونانية اذا كان يحسن العربية وهل الحال كذلك في اميركا

ج اما في بلاد الانكليز فالامر على ما قلتم وقد اخبرتنا الدكتورة انيسة صيبعة انها اعفيت من درس اللاتينية او اليونانية لانها تعرف العربية واما في اميركا فلا يظهر انه يشترط درس اللاتينية واليونانية لتعلم الطب ولكن ابناء اللغة الانكليزية قلما يتمون دروسهم العلمية من غير درس مبادىء اللغة اللاتينية

(١٦) سبب اسوداد الزنوج

ابو كبير الشيخ ابو هاشم علي قريط - ما سبب اسوداد بشرة الزنوج وما سبب استرقاقهم وفي أي زمن كان ذلك

ج - لا شبهة في ان الاقليم الحار الذي يسكنه الزنوج يسوّد البشرة بدليل اسوداد بشرة العرب الذين سكنوا بلاد الزنوج منذ قرون كثيرة - اما الاسترقاق فكان شائعاً في كل البلدان من قديم الزمان وعامًّا لكل طوائف الناس أي ان الغالب كان يسترق الامرى سواء كانوا سوداً او بيضاً بل كان

الدائن من اليهود يسترق المديون منهم اذا عجز عن ايفاء الدين . وبقي استرقاق البيض شائعاً الى عهد غير بعيد . قال ارسطوطاليس ان الناس سيد وعبد بالفطرة وتمنى افلاطون ان لا يسترق احد من اليونانيين . ثم جاءت الشريعة الرومانية واعتبرت الناس كلهم احراراً بالفطرة ولكنها حللت استرقاق الاسير بدل قتله واسترقاق من يبيع نفسه

(١٧) اسماء اولاد الحيوانات

ومنها . ما هي الاسماء التي تطلق على اولاد الحيوانات

ج . لقد جمعها الشيخ ناصيف اليازجي في مقاماته بالابيات التالية

للخيل مُهرٌ وحُوارٌ فجمل
والجديُ فالمعزى والشاة الحمل
والعجلُ للثور والجحيرِ
عفرٌ كذا الخنوصُ للخنزيرِ
وشبلُ ليثٍ ولضبعٍ فرعلُ
وجروُ كلبٍ ولفيلٍ دغفلُ
غفرٌ لوعلٍ وفوارٌ لقرا
كذاك يعفورٌ لماءٍ ذُكرا
وخرنقٌ لأرنبٍ وتفتلُ
لثعلبٍ ولابن آوى نوفلُ
طلا الغزالِ ديسمٌ للذبِ
جأورٌ حيةٍ وحسلُ الضبِ
وشقذٌ حرباء كذا للنملِ
ذرٌّ وجاء حُرنقٌ للقملِ
قرٌّ الدجاج الرألُ للنعامِ
عطريف بازٍ جوزلُ الحمامِ
للكروانِ الليلُ والحبارى
قد ذكروا لفرخها النهارا
والعقابِ ضرمٌ والمجعلُ
للفرخ منها سأنٌ يستعملُ
والدرصُ للهرةِ والبربوعِ
والفأرُ جاريكَ على الجميعِ

(١٨) زرع قصب السكر

ومنها من اول من زرع قصب السكر في القطر المصري وفي اي زمن كان

ج . قصب السكر نبت بريٌّ ولا بدَّ من ان يكون الناس قد انتبهوا الى حلاوته من قديم الزمان والظاهر ان اهالي الهند استخرجوا السكر منهُ قبل زمن التاريخ . وفي تاريخ هيرودوتس اشارة صريحة اليهِ وذكر سترابون المؤرخ ان في الهند قصباً يستخرج منهُ العسل وكان سكر الهند يرسل الى اوربا في القرن الاول من التاريخ المسيحي ويسمَّى باليونانية سكاري من سوكرا باللغة السنسكريتية ومعناها الحصى والسكر وقد ذكر الصينيون انهم تعلموا استخراج السكر من المنود نحو سنة ٧٨٠ قبل المسيح . والظاهر ان العرب نقلوا زراعة قصب السكر الى مصر واوربا بعدما نقلوا بلاد الفرس . ويقال ان الصينيين تعلموا تكرير السكر من المصريين وكان لقصب السكر زراعة واسعة في مصر في زمن صلاح الدين الايوبي

(١٩) اهالي اميركا الاصليون

القاهرة - صبري افندي محمود الطنطغري

كيف وصل اهل اميركا الاصليون اليها

ج - لا يعلم حتى الآن اين وجد الانسان اولاً فالذين يقولون انهُ وجد اولاً في اسيا او في نصف الكرة الشرقي يقولون انهُ وصل الى اميركا راكباً البحر بالسفن او وصل اليها قاطعاً على بوغاز بيرين في اقصى الشمال الشرقي من اسيا او وصل بالطريقين ويظن بعض العلماء ان الانسان وجد اولاً في اميركا ثم انتقل منها الى اسيا ويظن غيرهم ان للانسان اصولاً مختلفة وان اهالي اميركا الاصليين نشأوا فيها واهالي اسيا الاصليين نشأوا فيها ويقول البعض انهم وجدوا ادلة كافية على ان الملوك الرعاة الذين اخرجوا من القطر المصري هم واتباعهم ذهبوا الى العراق ومرّوا في الهند الصينية واجتازوا البحر الى غربي اميركا وبنوا فيها المباني العظيمة التي تشبه مباني الاشوريين والبابليين وكان لهم عادات تشبه عادات المصريين - وسنكتب مقالة مسهبة في هذا الموضوع في جزء تالٍ

(٢٠) بشار بن برد

ومنهُ - من هو بشار بن برد

ج - ذكرهُ ابن خلكان فقال انهُ ابن يرجوخ العقيلي بالولاء المضري وقال انهُ في اول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين ومن شعره في المشورة قولهُ

اذا بلغ الرأي المشورة فاستمن
بحزم نصيح او نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فريش الخوافي تابع لقوادم
وما خير كف امسك النل اختها
وما خير سيف لم يؤيّد بقائم

ومن شعره ايضاً

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وقال الاصمعي بشار خاتمة الشعراء ولولا ان ايامهُ تأخرت لفضلهُ على كثير منهم

رمي عند الخليفة المهدي بالزندقة فامر بضربهِ فضرب ثمانين سوطاً فمات وذلك سنة ١٦٨ للهجرة

(٢١) اول اميركي دخل اليابان

ومنهُ - ما اسم اول اميركي دخل بلاد اليابان -

ج - نظن انكم تريدون الكومودور بري Perry الذي دخل مرفأ اوراغا عنوة بالاسطول الاميركي سنة ١٨٥٣ . اقرأوا خلاصة تاريخ اليابان في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف والصفحة ١٠٠ وما بعدها

(٢٢) ضعف الاعصاب

بعلبك - خ - د - لي صديق يناهز الواحدة والعشرين من عمره يشعر بالم في جهة القلب وخفقان وضيق في الصدر وضعف في الذاكرة ولا يستقرّ لهُ قرار فلا يقدر ان يقرأ اكثر

من نصف ساعة ولا ان يعتمد على عمل يأتيه وقد عرض على جملة اطباء فلم يأتِ علاجهم بفائدة . وقرأ مرة اعلاناً في احدى الجرائد عن دواء قيل انهُ يشفي من بعض الامراض التي اعراضها تشبه الاعراض التي فيهِ . فما رأيكم في ذلك وما هو مرضهُ وعلاجهُ

ج . يظهر ان صاحبكم مصاب بضعف في الاعصاب واسبابهُ ما ذكرتم في كتابكم . وافضل علاج لهُ الامتناع عن السبب وتشغيل الجسم والدماغ وتبديل الهواء والمقويات . ولا ريب في ان المعالجة بالوسائل الادبية والرياضية في هذه الاحوال افضل كثيراً من معالجة الادوية

(٣٣) مخدر موضعي للاسنان

ومنهُ . سمعت انهُ يوجد بنج موضعي للاسنان اكتشفهُ طبيب من يونوسيرس ويوضع من هذا الدواء بضع نقط فقط فوق اللثة فلا يعود الانسان يشعر بالم متى قلع ضرسهُ فهل هذا صحيح وما هو هذا الدواء وما هو افضل مخدر لقلع الاسنان

ج . لا نعلم مخدر موضعي يعول عليه غير المخدرات المعروفة المستعملة في طب الاسنان وهي الكوكايين والبوكايين وكلوريد الاثيل واستعمالها معروف ومشهور فالاولان يستعملان حقناً في اللثة وما يجاورها وقد يوضع من محلولهما بضع نقط على قليل من القطن ويضغط بهِ على اللثة فيخف الم القلع

(٣٤) تبييض الزنوج

ومنهُ . اخبرني صديق انهُ قرأ في احدى المجلات العلمية انهُ يمكن تبييض الزنوج بالكهربائية فهل ذلك صحيح

ج . يقال ان اشعة رنتجن تبيض بشرة الزنوج او تقلل سوادها ولكن هذه الاشعة كاوية وقد تسبب في الجلد بعض الآفات فلا نظن ان زنجياً يختار استعمالها لتبييض بشرته

(٣٥) كتب علماء الطبيعة

كلية مكلستر بسانت بول اميركا . الخواجه سليمان داود . هل عرب شيء من كتب داروين وهكسلي ولامارك وهيكل وسبنسر ووتس وغلتن

ج . لا نعلم انهُ عرب كتاب من كتبهم غير كتاب سبنسر في التعليم ولكن عربت مقالات كثيرة من كتب سبنسر ونشرت في المقتطف

(٣٦) وجود الله ومذهب الشيء

ومنهُ . هل ينفي مذهب الشيء والارتقاء وجود الله وخلود النفس

ج . كلاَّ

ومنهُ . كم ثمن مجلد سنة ١٩٠٦ من المقتطف

ج . ليرة انكليزية ويضاف اليها اجرة التجليد والبريد

باب الاخبار العلمية

الكيمياء والطبيعيات

اقرّت اللجنة الدولية التي أقيمت للبحث في الوزن الجوهري للعناصر على ان يكون وزن الاكسجين ١٦ كما كان والهيدروجين ١٫٠٠٨ والكربون ١٢ كما كان والنيتروجين ١٤٫٠٠٧ والكلور ٣٥٫٤٦٠ والبروم ٧٩٫٩١٦ والفضة ١٠٧٫٨٨٠ والبوتاسيوم ٣٩٫٠٩٥ والكبريت ٣٢٫٠٧٠ . وكثر البحث في المواد المشعّة والبحث عن حقيقة اشعة رنتجن . وبيّن الدكتور هكر ان جذب القمر للارض يغير شكلها قليلاً بين ٨ عقد و١٢ عقدة

كوك والقطب الشمالي

علم القراء ما كان من النزاع بين كوك وبيري وانصارهما وآخر ما وصل اليه الامر ان جريدة النيويورك تيمس نشرت اقوالاً لرجلين يسمى احدهما القبطان لوس وهو من متقاعدي الملاحة التجارية ومشهور له بالبراعة في فن الملاحة والآخر المستر دنكل من وكلاء احدى شركات التأمين . ويؤخذ من هذه الاقوال ان القبطان لوس اعطى الدكتور كوك الارصاد والخرائط التي ارسلها هذا مع كاتبه المستر لوفسدايل الى جامعة كوبنهاغن وقد ايد الرجلان اقوالهما بيمين كتباها وسلماها الى ادارة الجريدة فارسلت الجريدة تلغرافاً الى جامعة كوبنهاغن ذكرت فيه ملخص الاقوال التي قالها القبطان لوس والمستر دنكل وعرضت عليها ارسال الاوراق التي تثبت ما يدعيانه . وقد جاء في الجريدة ايضاً انها اقتفت آثار الرجلين فتبين لها صحة ما قالاه . ولم تظهر هذه الاقوال في جريدة النيويورك تيمس حتى اخلق الدكتور كوك ولم يوقف له على اثر ويقول بعض انصاره انه سافر الى اوربا ليكون على مقربة من كوبنهاغن ويجيب عن الاسئلة التي قد تطرح عليه

اما القبطان لوس والمستر دنكل فيقولان ان الباعث لهما على افشاء اسرار الدكتور كوك هو اخلافه وعده لهما فانهما كانا قد اتفقا معه على مبلغ ٨٠٠ جنيه يدفعه لهما لقاء اتعابهما ويعطي القبطان لوس مئة جنيه أخرى متى قبلت هذه التقارير في كوبنهاغن لكنه لم يفعل شيئاً من هذا بل اعطاهما ٥٢ جنيهاً فقط واختفى

وكان ملخص ما قاله المستر دنكل ان له

معرفة سابقة بالقبطان لوس وقد لقيهُ مرة لما نشرت جريدة النيويورك هرلد حديث كوك عن سفره الى القطب فقال لهُ لوس يتراءى لي ان هذه الارصاد المذكورة في التقرير ملفقة ويمكنني ان اعمل احسن منها قال دنكل فقلت لهُ وهل يمكن تلفيق الارصاد قال لا ريب في ذلك قلت هل تريد ان تقول انك تقدر وانت مقيم هنا ان تلفق ارصاداً تدعي بها انك سافرت الى القطب قال لا اسهل من ذلك على من كان خبيراً واني قادرٌ على تلفيق ارصاد يخدع بها اعظم العلماء

ثم ذكر المستر دنكل انهُ لقي الدكتور كوك بعد ذلك وجمع بينهُ وبين القبطان لوس وتم الاتفاق بين الثلاثة كما ذكر آنفاً . واخذ القبطان لوس يشتغل في عمل هذه الارصاد الى ان اتمها ثم دفعها الى الدكتور كوك وقال لهُ « ان الارصاد التي كانت معك لا فائدة منها فاحتفظ بهذه التي عملتها لك فانها تجوز على اي مدرسة جامعة في الدنيا ولا تخف من هؤلاء العلماء في كوبنهاغن فانها تجوز عليهم ايضاً باذن الله »

اما القبطان لوس فكان ملخص اقوالهِ انهُ لم يكد يجلس مع كوك بضع دقائق حتى تبين لهُ انهُ لم يرَ القطب في حياتهِ وانهُ جاهل ببسط الامور الفلكية وقد اعترف لهُ ان آلات الرصد التي كانت معهُ لم تكن مصححة ولم يكن معهُ خريطة بحرية فسألهُ كيف وصلت اذاً الى القطب قال كنت اسير بالابرة المغنطيسية وبما قالهُ القبطان لوس اني سألت الدكتور كوك عن الوقت الذي كان يأخذ الارصاد بموجبهِ وهل كانت ساعات الكرونومتر التي معهُ مصححة ام لا فاجاب سلباً فاستغربت ذلك كثيراً لان الارصاد التي كان يرصدها حسب زعمهِ لا سبيل الى اثبات صحتها ما لم يكن الوقت الذي رصدت فيهِ مضبوطاً فقلت لهُ لا بد اذاً من ان اعمل لك خريطة اذكر بها الاوقات الصحيحة التي اخذت ارصادك فيها وافترقنا بعد ان تم الاتفاق بيننا على ان اشتري لهُ الكتب والخرائط اللازمة واكتب لهُ العرض والطول للارصاد التي ذكرها في تقريرهِ المنشور في النيويورك هرلد وكان قد اورد فيهِ نحواً من ثلاثين رصداً ذكر العرض فيها فقط ولم يذكر الطول الا في عدد قليل منها وطلب مني ان اذكر ايضاً ارتفاع الشمس في كلٍّ من هذه الارصاد واعطاني مذكرة فيها الارصاد التي زعم انهُ اخذها فوجدتها تختلف في بعض الامور عما جاء في تقرير الهرلد

ثم اجتمعت بهِ مرة اخرى في فندق غرامتان وكنت قد كتبت ارصاد بعض النجوم التي يحتمل انهُ رآها في اقوتوك فسرَّهُ ذلك كثيراً واخفيتها مني ورأيت ان ابحث معهُ في بعض المسائل الفلكية لاعلم مقدار معرفتهِ بها فسألتهُ عن السمت وكيف يرصدهُ فقال لابد من مراجعة كتبي قبل ان اجيبك على ذلك

ولم اعد اراهُ بعد ذلك الى ان اتممت الارصاد كلها وقد استصعبت جدًّا تعيين مواقع بعض الكواكب التي لا بد انهُ رآها في اثوتوك ولم يكن قد رصد ولا واحداً منها ولا ضبط وقتهُ فاصلحت ذلك برصد كوكب العيّوق وحسبت انهُ لا بد ان يرى في الافق الشمالي في الخامس عشر من يناير فذكرت انهُ رصدهُ في الساعة الخامسة والدقيقة ١٥ صباحاً وسألتهُ هل يظن انهُ استيقظ في ذلك الوقت لرصد العيّوق قال وهل لا بد من ذكر ذلك قلت لا بد منهُ قال اني اذكر اني استيقظت في ذلك الوقت او قبلهُ قليلاً

ولما سلمتهُ الارصاد في فندق غرامتان قلت لهُ لو ذكرت ارصاد العرض في رجوعك من القطب كان خيراً لك فسكت فقلت لهُ لا بأس بذلك فانك لم تبق في القطب بل لا بد انك عدت منهُ ويمكنك ان تقول ان ارصادك في عودتك بقيت في محطة ايتا مع ما تركت من الآلات وغيرها قال هو كذلك. وكنت عائداً مرة من الفندق الذي اجتمعت بهِ معهُ فلقيت المستر دنكل فقلت لهُ اتدري ما معنى هذا كلهِ . قال لا . قلت ان هذه التقارير التي لفقناها اذا قبلها اصحابنا العلماء في كوبنهاغن لكون قد اكتشفنا القطب الشمالي

هذا ملخص ما شهد بهِ هذان الرجلان ويظهر ان ارصاد القبطان لرس لم يسلم بها علماء كوبنهاغن وقد اذاعت الجامعة تقريرها في الحادي والعشرين من شهر دسمبر وجاء فيهِ ان الاوراق التي ارسلها كوك لم يكن فيها دليل على انهُ بلغ القطب وورد في التقرير عبارات يشتم منها رائحة الريب في اقوالهِ . وقد كان لذلك وقع اليم في النفوس وندم اهل كوبنهاغن على الاحتفالات التي قاموا بها للدكتور كوك . ويزعم بعض انصاره الآن انهُ مصاب في عقلهِ

وآخر ما ورد من هذا القبيل ان لجنة نادي الرحالين التي عينت للبحث فيما زعمهُ الدكتور كوك من انهُ بلغ قمة جبل مكنلي في سنة ١٩٠٦ رفعت تقريراً ينقض ما يدعيهِ فطرد من النادي

وصايا للعلم

توفي في اكتوبر الماضي المستر جون كندي من اهالي نيويورك عن ثروة طائلة ترك منها ستة ملايين من الجنيهات للعلم فاوصى بمبلغ ٤٤٥٠٠٠ جنيه لجامعة كولومبيا في اميركا و١٥٠٠٠٠ لجامعة نيويورك و٣٠٠٠٠٠ جنيه لكلية روبرتس في الاستانة و٢٠٠٠٠٠ جنيه للكلية السورية الانجيلية في بيروت و١٠٠٠٠٠ جنيه لكلية الاناضول . واوصى بمبالغ كثيرة غير هذه لكليات اخرى في اميركا

وتوفي ايضاً المستر كروكر من اغنياء اميركا واوصى بمبلغ ٣٠٠٠٠٠ جنيه لجامعة

كولومبيا بنيويورك يختص ريعها لدرس داء السرطان

الزوابع المغنطيسية

يحدث من حين الى آخر ان المواصلات التلغرافية تنقطع في انحاء كثيرة من المسكونة بغير سبب ظاهر وقد حدث شيء من هذا في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي ويظن بعضهم ان سببهُ زوابع مغنطيسية في الارض لها علاقة بالكلف الكبيرة في الشمس. والادلة على صحة هذا الرأي تزداد من يوم الى آخر

جوائز نوبل

منحت جوائز نوبل هذه السنة كما يأتي

الطب. الاستاذ كوخر من برن بسويسرا

الكيمياء. الاستاذ اوستولد من ليبزك

الطبيعيات. المسيو مركوني والاستاذ براون مناصفة

حفظ السلام. المسيو اوغست بيرنار رئيس الوزارة البلجيكية سابقاً والمسيو دستورنل دي كونستانس من اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا وقد تنازلا عنها للاعمال الخيرية

العيد الخمسيني لكتاب اصل الانواع

اجتمع في ٢٤ نوفمبر الماضي في القاعة الكبرى من حديقة الحيوانات في امستردام عدة جمعيات علمية وطبية للاحتفال بمضي خمسين سنة من نشر كتاب دارون في اصل الانواع والاعتراف بما كان للمذهب الدارويني من التأثير في الافكار منذ ذلك الحين فالقى الاستاذ دفريس خطبة موضوعها رحلة دارون الى جزر غلاباغس وخطب الاستاذ هوبرخت عن دارون وتسلسل الانسان. وكانت القاعة مزدحمة بالمحتفلين ومزينة بالازهار والرياحين وفي وسطها الخير تمثال نصفي لدارون

الآثار المسيحية في النوبة

يهتم الاستاذ سايس الاثري الشهير بالتنقيب عن الآثار المسيحية في مديريتي حلفا ودنقلة ويعضدهُ في هذه المهمة المستر سومرس كلارك والمستر جرين واحد موظفي المعارف في السودان

بعثة علمية في اواسط اسيا

ارسلت بعض الجمعيات الفرنسوية بعثة علمية لارتياد اواسط اسيا وقد عادت البعثة الآن بعد ان قطعت ثلاثة آلاف كيلومتر بين اذربيجان في تركستان وشنجشو في الصين وتوفقت الى معرفة امور كثيرة في التاريخ الطبيعي وعلم الانسان وعثرت على آثار تاريخية وكتابية بينها تماثيل خشبية ورسوم على الحرير ترجع الى ما قبل القرن الحادي عشر ومكتبة بتمامها تحتوي على كتابة خط مسطوري ومطبوعات وكلها من القرن السابع.

وقد اضيفت هذه التحف الى القسم الصيني في المكتبة الوطنية بباريس

الكتب المخلة بالاداب في ايطاليا

اجتمع اصحاب المطابع والمكاتب في رومية للبحث في امر المطبوعات ونشرها وتحسينها . ومن اهم المسائل التي بحثوا فيها امر الكتب المخلة بالاداب فاجمع رأيهم على اقامة حرب عنيفة ضد المؤلفات البذيئة وسنوا نظاماً يمنعون بموجبه من طبع او باع او نشر شيئاً من هذه المؤلفات من الدخول في نفاياتهم

مرض النوم

قيل انهُ عثر على اصابة بمرض النوم في واو عاصمة بحر الغزال والمصاب حمال وطئ قدم اليها من تجاما على حدود الكونغو مع تاجر يوناني . ويقال ايضاً ان في راجا وديم الزبير وهما في الجهات الغربية من بحر الغزال عدة اصابات مشتبه فيها . فان صحت هذه الاخبار كان لها اهمية كبرى لانها اول مرة ثبت فيها وجود هذا الداء في مديرية بحر الغزال بعد احتلالها الاخير . اما الذباب الذي ينقل المرض فكثير هناك وقد رآهُ القائمقام انسوربك من اطباء الجيش المصري في انحاء عديدة من المديرية وفي واو نفسها وفحص عدة اشخاص مشتبه فيهم فلم يعثر على مكروب الداء في احد منهم وكان ذلك سنة ١٩٠٨

مذنب هلي

ذكرت الجرائد والمجلات الاوربية ان اول صورة فوتوغرافية ظهر فيها مذنب هلي صورها الاستاذ مكس ولف في ٢٨ اغسطس الماضي بمدينة هيدلبرج . ثم صور في مرصد غرينتش في ٩ سبتمبر وفي هيدلبرج مرة أخرى في ١٢ منهُ . وقد جاءنا من ادارة المساحة المصرية ان المستر نوكس شوصوَّر صورة فوتوغرافية في حلوان في ٢٤ اغسطس الماضي وترجح لهُ وجود صورة المذنب فيها ثم ارسل اللوح الفوتوغرافي الى المرصد الملكي في غرينتش لفحصهِ هناك فجاء من مديره ان الصورة الظاهرة فيهِ هي صورة مذنب هلي تماماً فيكون مرصد حلوان اول مرصد صور هذا المذنب بالتصوير الشمسي . وقد استعمل لذلك آلة الرصد التي اعدادها المستر رينولدز الى الحكومة المصرية

النظارة العاكسة الكبيرة

يصنع الفان كلارك واولادهُ نظارة عاكسة كبيرة قطر مرآتها ٤٠ قيراطاً (بوصه) للاستاذ لويل وسيكون سمك هذه المرآة ٧ قراريط ووزنها ٩٠٠ ليبره وستركب في حفرة عمقها ٦ اقدام عن سطح الارض وتقام عليها قبة مستديرة من الخشب والقماش تستذري بها من الريح وتتقي تأثير تغيرات الحرارة العظيمة وتدار بمحركين كهربائيين

فهرس الجزء الاول من المجلد السادس والثلاثين

١	مذنب هلي في التاريخ
٥	العلم في العام الماضي
٩	الداء الاسود . للدكتور امين المعلوف
١١	الكوليرا والصحة في مكة المكرمة
١٦	مدارس الحكومة . للاستاذ وليم هول
٢٢	سورية ولبنان . (مصوّرة)
٣٠	معجم الحيوان . (مصوّرة) للدكتور امين المعلوف
٣٦	فلسفة النشوء والارتقاء . للدكتور شبلي شميل
٤١	مناجاة الارواح
٤٦	ترعة السويس
٥٣	الذئاب في رومانيا
٥٦	تربيتنا المدرسية . لتوفيق افندي زيتق
٦٣	الى اين المصير
٦٥	اللون الاحمر واللون الازرق
٦٧	باب التقريظ والانتقاد * روح الاجتماع . المعلوم والمجهول . الحديد في مصر . زوبعة الحر
٧٦	باب المراسلة والمخاطرة * تساري الناس
٨٠	باب تدبير المنزل * اقراص النعنع . اقراص وسكرات اخرى . العشاء الصيني . الماء والرطوبات القطنية . طرد الصراصير . صفة لتكوين كريم . تنظيف الشمع . الكمادات (اللبخات) وعملها
٨٦	باب الزراعة * مقاومة الحشرات في مزارع . تربية الغنم في الصعيد . القطن المصري بوجه الطوز . القطن الاميركي ومحصوله . المكروبات والزراعة
٩١	باب الحيوان * البلزن ودوران الارض . لقب كافر . تولد الزوابع . غرض الحياة . الحيوان والحيلة الاجتماعية . تعدّد الزوجات . اصلاح الدولة العثمانية . حقيقة الصاعقة . اقدم كتاب عربي . الصابئين وسقوط الشعر . صغاران في بيضة . مرض الدجاج . انقلاب عظيم في الزراعة . التوأم بتاهرت مصري . العربية بدل اللاتينية . سبب اسوداد الزنوج . اسماء اولاد الحيوانات . زرع قصب السكر . اهالي اميركا الاصليون . بشار بن برد . اول اميركي دخل اليابان . ضعف الاعصاب . عذر موضعي للاسنان . تبييض الزنوج . كتب علماء الطبيعة . وجود الله ومذهب النشوء
٩٩	باب الاخبار العلمية * وفيه ١٢ نبأ